

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عباس لغرور خنشلة



كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مطبوعة في مادة النقد الأدبي القديم



موجهة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك لغة وأدب عربي

إعداد الدكتورة: فريدة مقلاتي

السنة الجامعية: 2021-2022

هذه جملة المحاضرات التي تنتظم ضمن مادة: "النقد الأدبي القديم"، الموجهة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك لغة وأدب عربي، ويبلغ عددها: (14) محاضرة، وفقا للمقرر الوزاري، الذي تجليه الاستمارة المرفقة، التي تتضمن (14) مفردة، والتي تغطي حقبة زمنية مقدرة بأربعة عشر أسبوعا، بما يساوي السداسي الأول.

ويعد موضوع النقد الأدبي من أهم الموضوعات التي تدرس للطلبة، إذ من خلالها يكتشف الطالب تلك العلاقة الوطيدة بين الناقد والأديب أو الشاعر، فهذا الأخير يبدع، أما الناقد فينتجه إلى التحليل والتفسير والتقويم ثم الحكم، وبهذا فالنقد ملازم الإبداع، أو هو مرآته التي تعكس صورته بصدق.

وهذه المحاضرات المقدمة تكشف في تدرج منطقي عن مفهوم النقد وتطوره، وأهم المصنفات النقدية المشرقية والمغربية والأندلسية، ثم محاولة بيان طبيعة نشأة النقد عند العرب الذي بدأ انطباعيا يفتقد على الذوق والموهبة والخبرة والتجارب الأدبية، وبعدها حاولنا تبيان أهم القضايا النقدية التي طرحها النقاد القدماء في مصنفاتهم المختلفة (الانتحال، الفحولة، الصدق والكذب...): إذ من خلال طرحهم نستشف طبيعة نظراتهم وتصوراتهم النقدية، ولكن دائما حسب ما يقتضيه طابع العصر أو الحقبة الزمنية التي عاشوا فيها.

وعليه يمكن القول إن النقاد القدماء طرحوا قضايا نقدية مختلفة لها علاقة بالنص الإبداعي؛ إذ من خلالها نستشف بعض المعايير التي حددها لتقويم هذا الإنتاج الفني، ولعل من أبرزها: مفهوم الشعر، قضية اللفظ والمعنى، قضية الفحولة، وقضية الانتحال، وقضية عمود الشعر، وقضية الصدق والكذب، وقضية الموازنة. ثم النقد البلاغي الذي يكشف عن ذلك الارتباط الوثيق بين النقد والبلاغة؛ وأي فصل يُعد في حقيقتة الأمر فصلاً مُفتَعلاً لا يُقره واقع النقد العربي ولا خصائص اللغة العربية.

وفي النهاية نقول إن هذه المحاضرات ضمنت عصارَةَ جُهود النُّقاد باختصار، وهذا لفتح المجال أمام الطالب للبحث والتوسُّع أكثر والبحث في مكامن النقد القديم، الذي يبقى مجالاً واسعاً للبحث والتنقيب من طرف الباحث، وتبقى هذه المحاضرات خلاصة جهد، إن أخطأت، فذلك من سمات البشر، وإن أصبت فتلك نعمة من نعم الله، ونختتم بنسبحانك اللهم وبحمدك نستغفرك، ونتوب

إليك، ونشهد أن لا إله إلا أنت، وأن سيدنا محمدا عبدك، ورسولك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب  
العالمين.



## المحاضرة الأولى: النقد مفهومه وتطوره وجغرافيته في المشرق والمغرب.

### 1- مفهوم النقد:

أ-النقد لغة: جاء في لسان العرب في مادة (نقد): "النقد خلاف النسيئة، والنقد التَّنْقَاد: تمييزُ الدراهم وإخراج الزيف منها، أنشد سيبويه:

تَنْفِي يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرٍ      نَفْيِ الدَّرَاهِمِ تَنْقَادُ الصَّيَارِفِ

وقد نقدها يَنْقُدُهَا نَقْدًا وَاَنْتَقَدَهَا وَتَنْقَدُهَا وَنَقَدَهُ إِيَّاهَا نَقْدًا، أعطاه فَاَنْتَقَدَهَا؛ أي قَبَضَهَا... ونقدتُ الدراهمَ، وانتقدتُها إذا أخرجت منها الزَّيْفَ... وناقدت فلانا إذا ناقشته في الأمر.<sup>1</sup>

نعين من خلال هذا التعريف اللغوي أن النقد قد يعني تمييز الدراهم صحيحها من زائفها، وقد يعني أيضا المناقشة. وقد تعني لفظة "النقد" أيضا إظهار العيوب وتمييز الجيد من الرديء؛ إذ جاء في حديث أبي الدرداء: "إن نقدت الناس نقدوك، وإن تركتهم تركوك" وبالمعنى نفسه استعمالها بعض المحدثين من الكتاب، وجعلوها رديفا للتقريض؛ أي المدح، والثناء، وقالوا: باب النقد والتقريض؛ أي باب ذكر المساوئ وذكر المحاسن.<sup>2</sup> كما استخدمها النقاد للدلالة على الملكة التي يستطيعون بها تمييز الجيد من النصوص والرديء، والجميل والقبيح، وكل ما تبذعه هذه الملكة في الأدب من أحكام نقدية.<sup>3</sup> وتتضمن لفظة "نقد" في اليونانية القديمة أيضا معنى التمييز؛ أي التحليل ومعنى الحكم أو التقويم، ولكن بعد التطور، ومنذ أواخر القرن الثامن عشر تم تغليب التحليل على الحكم في عملية النقد.<sup>4</sup> وبذلك يمكن القول: إن ملفوظ "النقد" بعد التطور فضل الباحثون أن تتجلى مهمته في التحليل لتحديد مواطن التميز والتفرد في العمل الأدبي.

ب-النقد اصطلاحا: نظر بعض الباحثين إلى هذا المصطلح واعتبروه «المرآة الصادقة التي تعكس نواحي الجودة والجمال، أو الرداءة، والقبح في العمل الأدبي»<sup>5</sup>، وعرفه "شوقي ضيف" بقوله: «النقد: تحليل القطع وتقدير ما لها من قيمة فنية، ولم تأخذ الكلمة هذا المعنى الاصطلاحي إلا في العصر العباسي»<sup>6</sup>، أما "محمد مندور" يعرف «النقد الأدبي في أدق تعريفاته هو أولا قبل كل شيء فن تمييز

<sup>1</sup>- ينظر، ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، مج3، مادة (نقد) دار صادر، بيروت، دط، دت، ص 425.

<sup>2</sup>- ينظر، خالد يوسف، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، دط، دت، ص 13.

<sup>3</sup>- ينظر، شوقي ضيف، النقد، دار المعارف، مصر، ط 4، 1979، ص 09.

<sup>4</sup>- ينظر، سهير قلماوي، النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1959م، ص 18

<sup>5</sup>- حسين الحاج حسن، النقد الأدبي في آثار أعلامه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت- لبنان، ط1، 1996م، 24.

<sup>6</sup>- شوقي ضيف، النقد، ص 11.

الأساليب باعتبار أن أسلوب الرجل هو نفسه»<sup>7</sup>. ونعائين من هذه التعريفات أن النقد هو فن دراسة الأعمال الأدبية والفنية، وذلك لتحديد مواطن الإحسان، والإساءة، ومساعدة المبدع، والمتلقي في الوقت نفسه، وعليه يمكن القول إن النقد الأدبي هو «تمييز جيد القطعة الأدبية من رديئها، وفصل محاسنها عن عيوبها سواء كانت شعرا أم نثرا ثم تقديرها حق قدرها ومعرفة قيمتها وإنزالها منزلتها ودرجتها في الأدب»<sup>8</sup>.

## 2- غاية النقد الأدبي: تتلخص غاية النقد الأدبي فيما يأتي:<sup>9</sup>

- تقييم العمل الأدبي من الناحية الفنية، وبيان قيمته الموضوعية.
- تعيين مكان العمل الأدبي في خط سير الأدب.
- تحديد مدى تأثير العمل الأدبي بالمحيط، ومدى تأثيره فيه.
- توضيح سمات صاحب العمل الأدبي من خلال أعماله، وبيان خصائصه الشعورية والتعبيرية، وكشف العوامل النفسية التي أسهمت في تكوين هذه الأعمال.

## 3- نشأة النقد وتطوره:

1.3- النقد في العصر الجاهلي: نشأ النقد الأدبي عند العرب في العصر الجاهلي مصاحبا للشعر، ولا نستطيع أن نحدد بدقة تاريخ نشأته؛ إذ نجهد بداية نشأة الشعر، ويرجع أقدم ما وصل إلينا منه إلى ما يقرب من مائتي سنة قبل الإسلام؛ إذ يقول الجاحظ: «أما الشعر العربي فحديث الميلاذ صغير السن، أول من نَهَجَ سبيلَه وسَهَّلَ الطريقَ إليه: امرؤ القيس بن حُجْر ومُهَلَّب بن ربيعة.. فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له -إلى أن جاء الله بالإسلام- خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام»<sup>10</sup>، ولكن «هذا الشعر مر بضروب كثيرة من التهذيب، ... فلم يكن طفرة أن يهتدي العربي لوحدة الروي في القصيدة، ولا لوحدة حركة الروي، ولا للتصريح في أولها، ولا لافتتاحها بالنسيب والوقوف بالأطلال؛ لم يكن طفرة أن يعرف العرب كل تلك الأصول الشعرية في القصيد... وإنما عرف ذلك كله

<sup>7</sup> محمد مندور، معارك أدبية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، دط، ص 4.

<sup>8</sup> خالد يوسف، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، ص 15.

<sup>9</sup> المرجع نفسه، ص 16.

<sup>10</sup> الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، الحيوان، مج 1، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط 2، 1965م، ص 74.

بعد تجارب وبعد إصلاح وتهذيب»<sup>11</sup>، وهذا يعني أن الشعر لم يظهر فجأة كاملاً ناضجاً، بل مر بمراحل كثيرة من التهذيب، والتعديل، حتى بلغ به الإتقان الحد الذي وصل إليه في أواخر العصر الجاهلي. وبذلك فأقدم ما نعود إليه في تاريخ الأدب العربي هو عصر الجاهلية؛ إذ تجلت حركة النقد الأدبي الجاهلي ورواجه في أسواق العرب كعكاظ، وفي المجالس الأدبية العامة والخاصة، ففي هذه الأماكن كان الشعراء العرب يلتقون، ويتذكرون الشعر ويتناقدون، وقد كان لقريش دورها الملحوظ في رقي النقد وتقدمه، فما قبلته من الشعر كان مقبولاً وما ردته كان مردوداً.<sup>12</sup> كما أن ملكة النقد عند الجاهليين كانت مبنية على الذوق الفطري لا الفكر التحليلي، وهذا يعني أنه نقد ذوقي انطباعي يقف عند الجزئيات، فإذا ما انفعل بها الناقد يطلق حكماً عاماً قد يجعل من شاعر معين أشعر الناس لبيت أو أبيات أنشدتها<sup>13</sup>، وقد اتخذ النقد في العصر الجاهلي اتجاهين: الاتجاه الأول الحكم على الشعر، والاتجاه الثاني الحكم على الشعراء، والمفاضلة بينهم.

أ- الحكم على الشعر: يعتمد الناقد إلى إصدار أحكامه على شعر الشاعر؛ إذ يركز على الألفاظ والمعاني وبناء الصور، فالكلام عنده محكم أو غير محكم، والمعاني جيدة ومقبولة، والصور الشعرية كاملة البناء ذات دلالة وإيحاء.<sup>14</sup> ومن صور النقد الذي عاين الألفاظ، أو الصياغة، وأوضح عدم تمكن الشاعر من الدلالة الصحيحة نقد طرفة بن العبد لقول "المسيب بن علس"؛ إذ «مر المسيب بن علس بمجلس قيس بن ثعلبة فاستنشدوه فأنشداهم، فلما بلغ قوله:

وَقَدْ أَتَنَسَى الْهَمَّ عِنْدَ إِدْكَارِهِ بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْعِرِيُّ مُكْدَمٌ

فقال طرفة، وهو صبي يلعب مع الصبيان: استنوق الجمل»<sup>15</sup>. فالشاعر حسب "طرفة" وسم الجمل بسمة تخص النوق، فالصيغرية سمة تظهر في عنق الناقة، ولا تكون في الجمل، فباستخدامه للفظ "الصيغرية" أسند صفة لغير ما تسند إليه، ومن صور النقد الجاهلي ما عاين المعنى، مثال ذلك «قول الأعشى يمدح قيس بن معد يكرب الكندي أحد أشراف اليمن:

وُنُبْتُ قَيْسًا وَلَمْ أُبْلُهُ كَمَا زَعَمُوا خَيْرُ أَهْلِ الْيَمَنِ

<sup>11</sup>- طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، طبعة مزيدة ومنقحة، 2004م، ص 24.

<sup>12</sup>- خالد يوسف، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، ص 45-46.

<sup>13</sup>- عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1982م، ص 21.

<sup>14</sup>- ينظر، خالد يوسف، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، ص 46.

15- المرزباني، الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، تح محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1995، ص 94، 95.

فجئتُك مُرتاداً ما خَبَرُوا ولولا الذي خَبَرُوا لم تَرُنْ

ففي البيت الأول خطأ معنوي؛ لأن عدم اختبار الممدوح يُضعف الحكم؛ ولأن الزعم في عرف العرب مطية الكذب»<sup>16</sup> ومن صور هذا النقد أيضاً ما أخذ على النابغة الذبياني في مدحه للنعمان:

«وكنتُ امرءاً لا أمدح الدهر سوقة فلست على خير أذاك حاسد

فامتن عليه بمدحه وجعله خيراً سبق إليه»<sup>17</sup>. كما طرح النقد القديم قضية الصورة من حيث قدرة الشاعر، أو عدم قدرته على أدائها، من ذلك خبر احتكام علقمة بن عبدة، وامرئ القيس إلى أم جندب في أيهما أشعر، «...فقالت: قولاً شعراً تصفان فيه الخيل على روي واحد وقافية واحدة، فقال امرؤ القيس:

خَلِيلِي مُرّاً بِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ لِنَقْضِي حَاجَاتِ الْفُؤَادِ الْمُعْدَبِ

وقال علقمة: ذَهَبَتْ مِنَ الْهَجْرَانِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ وَلَمْ يَكْ حَقّاً كُلُّ هَذَا التَّجْنُبِ

ثم أنشدها جميعاً، فقالت لامرئ القيس: علقمة أشعر منك، قال: وكيف ذاك؟ قالت: لأنك قلت

فَلِلسَّوْطِ الْهُوبِ وَلِلسَّاقِ دَرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقَعٌ أَخْرَجَ مُهْدَبِ

فجهدت فرسك بسوطك ومريتته بساقك، وقال علقمة:

فَأُدْرِكُهُنَّ ثَانِيَا مِنْ عِنَانِهِ يَمُرُّ كَمَرِّ الرَّائِحِ الْمُتَحَلِّبِ

فأدرك طريدته، وهو ثانٍ من عِنَانِ فرسه لم يضره بسوط، ولا مراه بساق، ولا زجره»<sup>18</sup>، ويتضح من هذا النص أن "أم جندب" قارنت بين صورتين شعريتين: صورة فرس امرئ القيس الذي راح يزجره، ويضره، ويستحبه على العدو كي يدرك طريدته، وصورة فرس علقمة الذي أدرك طريدته ثانٍ من عِنَانِ فرسه، لم يضره بسوط، ولا مراه بساق، ولا زجره، وبذلك فصورة علقمة حسب أم جندب أوضح، وأكمل، وأجمل.<sup>19</sup> ولكن قد شك بعض النقاد في هذه القصة، ولم يطمئنوا إلى هذه الرواية، وأقروا أنها قصة مفتعلة قصد منها إثبات كراهية أم جندب لامرئ القيس، ولكن هذه القصة تظل في أركانها ثابتة لدى القدماء الثقات؛ إذ نجدها في

<sup>16</sup> - المرزباني، الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، ص 71.

<sup>17</sup> - ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج 1، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، دط، دت، ص 169

<sup>18</sup> - المصدر نفسه، ص 218-219

<sup>19</sup> - عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 23

كتاب الموازنة، والموشح، والصناعتين، وعليه يمكن القول أن "أم جندب"، وإن لم تشتهر في الوسط الشعري أو النقدي، كانت على حظ من التذوق الأدبي، ودقة النظر النقدي في عصر بكاره العروبة والبداءة والبطرة السليمة.20 كما عابوا على النابغة الذبياني "الإقواء"، وهو اختلاف حركة الروي في القصيدة؛ إذ قال:

أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُعْتَدِي عَجَلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوِّدٍ  
زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنَّ رِحْلَتَنَا غَدًا وَبِذَاكَ خَبَّرْنَا الْغَرَابَ الْأَسْوَدُ

فعيب ذلك عليه، وقال: «قدمت الحجاز، وفي شعري صنعة، ورحلت عنها، وأنا أشعر الناس».21 وبذلك فطن النابغة لطبيعة العيب الذي وقع فيه، فاستبدل عجز البيت بقول: وبذاك تنعاب الغراب الأسود22، والإقواء حسب "طه إبراهيم" هو «أثر من آثار طفولة الشعر، ودليل على أن العربي لم يهتد مرة واحدة إلى وحدة حركة الروي، فذممه نوع من البصر بالشعر، نوع من النقد قائم على وقع الشعر في السمع وعلى الانسجام، والتماثل في القافية»23. كما طرح النقد في العصر الجاهلي قصيدة الغلو في المبالغة وعدها عيباً من عيوب الشعر؛ إذ عابت العرب على المهلهل بن ربعة الغلو في قوله:

فلولا الريحُ أسمع من بحجر صليل البيض تُقرع بالذكور

وأول من تأثر بالمهلهل في المبالغات الشعرية امرؤ القيس.24

ب- الحكم على الشاعر: تجلّى هذا الاتجاه في الحكم على الشعراء والمفاضلة بينهم، وقد كان للعرب آنذاك أسواقاً يجتمع فيها الشعراء يتناشدون الأشعار ويتفاخرون بأمجادهم، وكان للشعراء في هذه الأسواق حكام من ذوي البصر بالشعر والمكانة فيه يتحاكمون إليهم، ولعل من أشهر الشخصيات الناقدة في تلك الحقبة، "النابغة الذبياني" الذي عرف بالقدرة على تذوق الشعر ونقده25، وكان النابغة «تضرب له قبّة حمراء من أدم بسوق عكاظ، وتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها، فأنشده الأعشى أبو بصير، ثم أنشده حسان بن ثابت، ثم الشعراء، ثم جاءت الخنساء السليمة فأنشده، فقال لها النابغة: والله لولا أنّ أبا بصير أنشدني أنفا لقلت

20- ينظر، رفعت التهامي عبد البر، النقد الأدبي العربي القديم: تطوره وقضاياه، دار النشر الدولي، الرياض، ط1، 2008م، ص40-41

21- المرزباني، الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، 51، وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص95.

22- ينظر، المصدر نفسه، ص52.

23- طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، ص26

24- عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص24.

25- ينظر، عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص28



إِنَّكَ أشعر الجن والإنس، فقال حسانُ: والله لأنا أشعرُ منكُ ومن أبيكُ ومن جدكُ ...»<sup>26</sup> نعاين من هذا النص أن النابغة حكم بين الشعراء، وفضل الأعشى، ولكن دون أن يعلل حكمه. كما تمت المفاضلة بين الشعراء باختيار أحسن قصائدهم، إذ أطلقوا عليها ألقاباً تعد إقراراً بجودتها من ذلك قصيدة حسان بن ثابت التي قال

فِيهَا: لِلَّهِ دَرُّ عِصَابَةٍ نَادِمَتْهُمْ يَوْمًا بِجَلْقَى فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

وصفوها بـ "البتارة"؛ لأنها بترت غيرها من القصائد.<sup>27</sup> وكذلك قصيدة "سويد بن أبي كاهل" التي وصفت بأنها "اليتيمة" والتي مطلعها:

بسطت رابعة الحبل لنا فوصل الحبل منها ما انقطع

فقد قال الأصمعي: «إن العرب كانت تفضلها وتعدُّها في حِكْمِهَا، وأنها كانت تُسَمَّى في الجاهلية "اليتيمة"»<sup>28</sup> ونجد كذلك قصيدة "علقمة بن عبدة" يقول فيها:

هل ما علمتَ وما استودعتَ مكتومُ أم حبلُها إذ نأثكَ اليوم مصرومُ

قالوا: هذه سِمْطُ الدهر. (المراد بالسِمْط هنا العقد أو القلادة).<sup>29</sup> وهي أحكام تفتقد إلى التعليل. وغيرها من النماذج التي توضح طبيعة النقد في العصر الجاهلي. ويتضح مما سبق أن النقد في العصر الجاهلي مبني على الذوق والفطرة التي تتأثر بما تسمع، فيصدر الناقد حكمه دون تعليل، فهو إذا استساغ بذوقه الفطري قصيدة أو جزءاً من قصيدة أو بيتاً، أو حتى نصف بيت منها يصدر حكماً عاماً، وربما يجعل من الشاعر أشعر الناس<sup>30</sup>، وعليه فالنقد في العصر الجاهلي كان نقداً جزئياً تأثرياً يعتمد على الذوق الفطري، وأحكامه تأتي غير معللة، ولكن "محمد أحمد العزاب" في كتابه "قضايا نقد الشعر في التراث العربي" أقر أن شيئاً ما، أو أشياء قد ضاعت، وبنيت على هذا الضياع أحكام جائرة في حق هذا النقد... العصر المظلوم.<sup>31</sup> وربما هذا صحيح؛ لأن الشعر وصل مكتملاً، وهذا يعني أن هناك حركة نقدية صححت مساره شكلاً ومضموناً، وبذلك كانت مواكبة لتطور الشعر.

<sup>26</sup>- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص 28

<sup>27</sup>- خالد يوسف، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، ص49

<sup>28</sup>- المرجع نفسه، ص49.

<sup>29</sup>- عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، 27

<sup>30</sup>- المرجع نفسه، ص34

<sup>31</sup>- محمد أحمد العزاب، قضايا نقد الشعر في التراث العربي، ج1، مطبعة الفجر الجديدة، منشية ناصر، القاهرة، دط، 1984م، ص 41

4- النقد في صدر الإسلام: إن صدر الإسلام هو تلك الفترة الزمنية التي بدأت بظهور الاسلام، وانتهت بقيام الدولة الأموية، وإذا تأملنا الشعر في عصر الرسول من حيث موضوعاته ومعانيه وروحه وجدناه لا يخرج عما كان عليه الشعر الجاهلي، والفرق بينه وبين سابقه هو أن الشعر الجاهلي متنوع الأغراض في حين أن الشعر في صدر الإسلام يكاد ينحصر في غرضين: المدح والهجاء، فكل ما نظمته شعراء المشركين هو امتداد للشعر الجاهلي في صورته ومعانيه وروحه وكل خصائصه؛ لأنهم كانوا لا يزالون وثنيين جاهليين في تفكيرهم ونزعاتهم وتقاليدهم.<sup>32</sup> والنقد في صدر الإسلام لم يختلف عن النقد في العصر الجاهلي، فهو بدوره يعتمد على الذوق والقطرة، ولم تتسع حركة النقد في هذا العصر لانشغال المسلمين بالدعوة الإسلامية، كما أن الدين الجديد حدد قواعد وضوابط لا بد أن يلتزم بها المسلم كما صحح مسار الشعر وفقا لطبيعة الدعوة الجديدة. وخير من اتجه بالنقد الأدبي وجهة جديدة اقتدت بتعاليمه هو "الرسول صلى الله عليه وسلم"؛ إذ أثر عنه آراء تتعلق بالشعر ونقده، ومن ذلك ما روي من أن النبي صلى الله عليه وسلم أنشد قول طرفة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا      ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فقال هذا من كلام النبوة.<sup>33</sup> وقد أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم بعض الآراء في مجال نقد الشعر من ذلك محاولته تحديد مفهوم للشعر نحو قوله: «الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه»<sup>34</sup>، كما عرفه أيضا بقوله: «إنما الشعر كلام، فمن الكلام خبيث وطيب»<sup>35</sup>، ويصفه أيضا بقوله: «الشعر كلام من كلام العرب جزل تتكلم به في بواديها وتسلم به الضعائن من بينها»<sup>36</sup>، ونستشف من خلال هذه الأقوال أن الرسول يشير إلى التأليف، وأحسن الشعر عنده ما طابق الحق، فالشعر الذي يجافي الحق فهو الخبيث الذي لا خير فيه، فالحق هو المقياس الذي يراه الأمين لتقدير الشعر، والحكم عليه لتحديد مكانته، ولم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم بإصدار بعض الملاحظات النقدية على بعض الأشعار، بل تجاوزها إلى تعديل واقتراح ألفاظ جديدة تناسب الواقع الجديد، ومن ذلك موقفه من قول كعب بن زهير: إن الرسول لنور يستضاء به\*\* وصارم من سيوف الهند مسلول.

<sup>32</sup> - محمد أحمد العزب، قضايا نقد الشعر في التراث العربي، ج 1، ص 46.

33 - قدامه بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق عبد المنعم خفاجي، ص 23.

34 - ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، قدم له وشرحه وفهرسه صلاح الدين الهواري، وهدي عودة، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، 2002، دط، ص 41.

35 - المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

36 - م ن، ص 42.

فقال الرسول: "مهند من سيوف الله مسلول"<sup>37</sup> وقد سار الخلفاء الراشدون في نقدهم للشعر سيرة رسول الله ونهجوا منهجه. إذ يقول "ابن رشيق" عن "عمر بن الخطاب": «كان من أنقد أهل زمانه للشعر، وأنقدهم فيه معرفة»<sup>38</sup> كما أن الشعر عنده «هو ذاك الذي يدخل المتعة إلى النفس ويحض على مكارم الأخلاق، ويلتقي مع تعاليم الإسلام وقيمه»<sup>39</sup>. وكانت مواقفه وأقواله عن الشعر تعكس خبرته وضلوعه في معرفة خبايا الصنعة الشعرية ومدى تأثيرها في النفوس، ويروى أنه كان يتعجب من قول زهير:

فإن الحق مقطعه ثلاث أداء أو نفاراً أو جلاء

يعني يمينا أو منافرة إلى حاكم يقطع بالبينات أو جلاء وهو بيان وبرهان يجلو به الحق وتتضح الدعوى.<sup>40</sup> لذلك سماه قاضي الشعراء، كما جعله شاعر الشعراء؛ لأنه كما يقول: "كان لا يُعازل بين الكلام ولا يتبع حوشيه ولا يمدح الرجل إلا بما فيه".<sup>41</sup> فالخصائص والسمات التي تميز بها شعر زهير حسب تصور "عمر" هي: تجنب المعازلة وحوشي الكلام، فخلو شعر زهير أولاً من الغريب المستهجن، يعني أنه كان بذوقه الأدبي يتخير ألفاظه وينتقيها، وخلوه ثانياً من المعازلة، يعني أنه كان ينأى بشعره عن التعقيد اللفظي الذي يؤدي بدوره إلى التعقيد المعنوي.<sup>42</sup> وقد التفت رجال البلاغة فيما بعد إلى ذلك وعدّوا غرابة الألفاظ، والمعازلة عيوباً تخل بفصاحة الكلام<sup>43</sup>، وسئل أيضاً عن أشعر الشعراء فقال: امرؤ القيس سابقهم، خسف لهم عين الشعر.<sup>44</sup>

أما "أبو بكر" فقد فضل "النابغة" على غيره من الشعراء؛ لأنه حسب تصوره «أحسنهم شعراً وأعذبهم بحراً، وأبعدهم قعراً»<sup>45</sup>. نعاين من خلال هذا الاعتراف أن أبا بكر بنى نقده على المعنى الشعري وعدوبته وعمق دلالاته، وقدرة الشعر على استخراج وإلباسه أحسن حلة فنية. كما نجد أيضاً أنّ "عليّاً" (كرم الله وجهه) له كلمة نقدية تنم عن ذوق أدبي وتعبر عن خبرة بالشعر، وقد أثر عنه قوله: «لو أن الشعراء المتقدمين ضمهم زمان واحد ونصبت لهم راية فجزوا معا علمنا من السابق منهم، وإذ لم يكن. فالذي لم يقل لرغبة، ولا لرغبة

<sup>37</sup>-عمر عروة، دروس في النقد الأدبي القديم: أشكاله وصوره ومناهجه، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، ص53.

<sup>38</sup>- ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ص 52.

<sup>39</sup>- خالد يوسف، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، ص 58.

<sup>40</sup>- ينظر، ابن قتيبة الشعر والشعراء، ج1، ص 140، وابن رشيق، العمدة، ج1، ص 91.

<sup>41</sup>- المصدر نفسه، ص 138. وابن رشيق، العمدة، ج1، ص 172.

<sup>42</sup>- عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 77.

<sup>43</sup>- خالد يوسف، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، ص 59.

<sup>44</sup>- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص 127، وينظر، ابن رشيق، العمدة، ج1، ص 165.

<sup>45</sup>- ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ص 167.

ف قيل ومن هو؟ فقال: الكندي، قيل: ولم؟ قال: لأنني رأيتهم نادرة وأسبقهم بادرة»<sup>46</sup> وبذلك فقد اعتمد "علي" مبدأ الموازنة بين الشعراء لمعرفة السباق منهم. ونستشف مما سبق أن الخلفاء قد أسهموا في تطوير الأحكام النقدية من أحكام غير معللة إلى أحكام معللة، وهذا ما تمظهر بخاصة عند "عمر بن الخطاب" الذي تجلت عنده ملامح النقد الموضوعي القائم على التذوق والتعليل، إضافة إلى المجالس الأدبية التي تعقد في المساجد وتعرض فيها الأشعار، ويكون فيها الحديث عن الأدب، والشعر والنقد، والمفاضلات بين الشعراء من جاهليين ومخضرمين.

5-النقد في العصر الأموي: نقصد بالعصر الأموي تلك الفترة الزمنية التي تبدأ بخلافة معاوية بن أبي سفيان وتنتهي باستيلاء العباسيين على الحكم، وقد نما الشعر في هذا العصر وازدهر في ثلاثة معاقل: الحجاز والعراق والشام. ومادام النقد يساير الأدب بإمكاننا أن نقرر أن البيئات التي نما فيها النقد وازدهر هي البيئات نفسها التي أثمر فيها الشعر وأخصب، ولكل نقد في هذه البيئات لون خاص يتبع الشعر في تلونه حسب البيئة التي نما فيها.<sup>47</sup>

1.5-نقد الحجاز: عاش الحجازيون في العصر الأموي عيشة بذخ وثراء فقد تدفقت عليهم المغانم من جراء الفتوح وأغدق عليهم الأمويون الأموال، فسكنوا القصور واقتنوا العبيد والجواري... فشاع الغناء، وانتشرت دوره ومجالسه حتى اشتهر فيهم كثير من المغنيين والمغنيات مثل: ابن سريج ومعبد، وجميلة ورحمة... ولكن إلى جانب هذه الحياة اللاهية العابثة في الحجاز كانت هناك حياة جادة وقورة انشغل رجالها بالدين فقد ظهرت بمكة والمدينة مدرستان للقرآن والفقه والحديث والتشريع.<sup>48</sup> وقد انفصل الشعر الحجازي إلى حد كبير عن الشعر الجاهلي فابتعد عن الفخر والحماسة، وفتّر المدح والهجاء وسيطر شعر رقيق تستشف منه روح العصر، وقد تمثل في شعر الغزل الحضري الإباحي، وقد حمل لواءه "عمر بن أبي ربيعة"، ثم تبعه كثير من شعراء مكة والمدينة كالعرجي وابن قيس الرقيات والأحوص ونصيب بن رباح... وفي محاذاة هؤلاء الشعراء المتحررين كان هنالك شعراء محافظون فضلوا الغزل العفيف فاتسم شعرهم بعاطفة قوية ومؤثرة مثل: كثير عزة، وجميل بن معمر...<sup>49</sup>

وقد تجلّى النقد في هذه البيئة في نقد الشعراء بعضهم بعضاً، أو نقد النقاد لهم؛ إذ نجد أحكاماً غير معللة

<sup>46</sup>- ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ص 67.

<sup>47</sup>- ينظر، خالد يوسف، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، ص 67.

<sup>48</sup>- ينظر، المرجع نفسه، ص 67-68.

<sup>49</sup>- ينظر، م. ن. ص 68.

كالحكم لشاعر بأنه أشعر الناس أو أشعر أهل الإسلام أو أشعر أهل جلدته، ومن ذلك ما يروى عن "جرير" فقد أنشدته (نصيب) شيئاً من شعره وطلب رأيه فيه فقال "جرير" أنت أشعر أهل جلدتك.

كما التفت النقد إلى جوانب من الشعر كتشوع القول في الأغراض والحكم لأحدهم بأنه زعيم الغزل أو أكثر أفانين الشعر، إذ قال البكري وغيره عن عبد الجبار بن سعيد المساحقي عن أبيه قال: «دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نوفل بن مساحق...؛ إذ مررنا بسعيد بن المسيب في مجلسه، وحوله جلساؤه، فسلمنا عليه فرد علينا: ثم قال لنوفل: يا أبا سعيد، من أشعرُ: صاحبنا أم صاحبكم؟ يريد: عبد الله بن قيس، أو عمر بن أبي ربيعة... فقال نوفل: صاحبكم أشعر في الغزل وصاحبنا أكثر أفانين شعرٍ...»<sup>50</sup> فحكم لعمر بأنه أشهر في الغزل وعبد الله بن قيس بأنه أكثر أفانين الشعر، وهذا يعني أن تشوع القول في الأغراض أصبح من المقاييس النقدية في النقد الأموي.

كما كان "عمر بن ربيعة" أكثر من اهتم بشعره نقاد الحجاز، فقد كان له أنصاره ومريده ممن فتنوا به وبشعره وفضلوه على باقي الشعراء وعلى رأس هؤلاء (ابن أبي عتيق)، وإلى جانب هؤلاء الأنصار كان هناك المعارضون الذين راحوا ينهون عن رواية شعره الذي يغري بالمعاصي ويفسد أخلاق الفتيات. و"ابن أبي عتيق على الرغم من إعجابه الشديد بشعر عمر وتفضيله على معاصريه من الشعراء فإنه لم يتوان عن نقده. وإذا كان "ابن أبي عتيق" يحتل مكانة مرموقة بين النقاد في بيئة الحجاز فإن "سكينة بنت الحسين" احتلت مكانة لا تقل أهميتها عن أهميته مكانته؛ إذ كان بيتها منتدى أدبيا للشعراء والأدباء. وكانت لها نظرات نقدية متعددة، فهي قد عدت الثقافة عنصراً مهماً وضرورياً في رفع مستوى الشعر، وتعييب على الشاعر كلامه الذي ينم عن قلة خبرة، وعن جهل بما يستحسن أو لا يستحسن.<sup>51</sup> كما بدأت تظهر ملامح قضية السرقات الشعرية وبات من يأخذ عن غيره من الشعراء معرضاً للسخرية والاستهزاء.

2.5-نقد العراق: أحييت سياسة الأمويين النزعة القبلية خدمة لمآربهم، إذ صرفوا أذهان العلم والأدب عن بلاد العرب إلى البصرة والكوفة فشجعوا الآداب، وبخاصة الجاهلية منها فظهر كثير من الرواة والأدباء، وأصبحت البصرة والكوفة معقلاً للعلم والأدب وملتقى الشعراء والأدباء والرواة والنحاة. وقد خلف مريد البصرة مجموعتين كبيرتين من الشعر: النقائص وأهمها نقائص جرير والأخطل، والأراجيز كأرجوزة العجاج وأرجوزة أبي النجم، وأرجوزة ربيعة، وفي هذه البيئة الزاخرة بثتى ضروب العلم والأدب نشط النقد الأدبي، وعقدت له

<sup>50</sup>- الأصفهاني (أبو الفرج)، الأغاني، ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة، دط، 1953، ص 113.

<sup>51</sup>- ينظر، خالد يوسف، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، ص 78.

المجالس العامة والخاصة، ولعل المدح والهجاء من بين سائر فنون الشعر كانا خير ما يرجوهما شاعر ليحظى بالشهادة الشعرية.<sup>52</sup>

وكان الطابع العام لنقد العراق المفاضلة أو الموازنة بين الشعراء عامة وبين الثلاثي (جرير، الفرزدق، والأخطل) بصورة خاصة، ونجد المفاضلة قائمة على اللغة وقواعدها أو مبنية على التذوق الخالص دون تعليل<sup>53</sup>، وقد وافق النقاد على أسبقية الثالوث الأموي في الشعر، غير أنهم اختلفوا في أيهم أشعر، فكل واحد تعصب لشاعره ورجحه على غيره من الشعراء. كما تطرق النقاد في نقدهم إلى المعاني الجزئية، وظهر لئون آخر من النقد الأدبي: نقد موضوعي مبني على قواعد وأصول مقررة في اللغة والنحو ومن أوائل من دخل ميدان النقد على أسس نحوية في هذا العصر: "يحيى بن يعمر البصري"، و"عنبسة الفيل" و"عبد الله بن إسحاق" و"أبو عمر بن العلاء". وقد وجد النحاة في شعر "الفرزدق" مادة خصبة لنقدهم النحوي.<sup>54</sup> ونستشف مما سبق أن النقد في العراق عرف تطورا ملحوظا؛ إذ ظهر النقد اللغوي المبني على أسس لغوية.

3.5- نقد الشام: كان شعر الشام في العصر الأموي في مجمله شعرا سياسيا يخدم الأمويين بالمديح. والأخطل أشهر الشعراء بلا منازع. وأكثر من أسهم في النقد الذي عرفته هذه البيئة الخلفاء والأمراء ممن عرفوا بسعة اطلاعهم وأحاطتهم باللغة والأدب، منهم: عبد الملك بن مروان. أما الطريق الذي سلكه النقد في بيئة الشام فهو في كثير من وجوهه المسلك ذاته في بيئتي الحجاز والعراق لولا الموضوع، فقد التفت إلى المفاضلة بين الشعراء والمعاني، وتطرق إلى قدم التشابيه وعدم التجديد وقلة الذوق، وعدم مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وعدم براعتهم في الاستهلال وكذبهم في شعرهم وعالج موسيقى الشعر ونبو ألفاظه، وقد تجلت المفاضلة بين الشعراء في نقد "عبد الملك بن مروان" فقد جعل من الأخطل أشعر العرب وشاعر بني أمية، وذلك بعد أن أنشده قصيدته خف القطين (ارتحل المقيمون أو الأحبة) خف القطين فراحوا منك أو بكروا.<sup>55</sup> كذلك وازن بين المعاني الجزئية لدى الشعراء وفاضل بينها فقد مدحه ابن قيس الرقيات:<sup>56</sup>

يعتدل التاج فوق مفرقه      على جبين كأنه الذهب

<sup>52</sup>-ينظر، خالد يوسف، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، ص 84.

<sup>53</sup>-ينظر، رفعت التهامي عبد البر، النقد الأدبي العربي القديم، دار النشر الدولي للنشر والتوزيع، الرياض، دط، 1429هـ، ص 114.

<sup>54</sup>-ينظر، خالد يوسف، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، ص 85.

<sup>55</sup>-ينظر، المرجع نفسه، ص 90.

<sup>56</sup>-قدامه بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، دط، دت، ص 184.

فيوازن بينه وبين ما قال الشاعر نفسه، فاعترض على قوله قائلا: كيف تقول لي هذا، وتقول في مصعب بن الزبير: إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

وقد فسر "قدامه" سر هذا الاعتراض بقوله: «فوجه عتب عبد الملك إنما هو من أجل أن هذا المادح عدل به عن بعض الفضائل النفسية التي هي العقل والعفة والعدل والشجاعة إلى ما يليق بأوصاف الجسم في البهاء والزينة...وذلك عيب وغلط»<sup>57</sup>. وأخذ أيضا على الشعراء عدم التجديد في تشبيهاتهم والاكتفاء بالتشبيهات التقليدية، دخل عليه الأخطل فقال: يا أمير المؤمنين قد امتدحتك فقال: إن كنت شهتني بالحياة والأسد فلا حاجة لي بشعرك، وعاب عليهم الغفلة وسقم الذوق ومجافاة الكلام لمقتضى الحال وعدم البراعة في الاستهلال<sup>58</sup>. أما "عمر بن عبد العزيز" الخليفة كان موقفه من الشعراء موقفا موجها أكثر منه ناقدا، فقد فرض على الشعراء ميزان الرسول وخلفائه الراشدين.

وأخيرا يمكن القول: إن النقد في بيئة الشام نقد فطري يعود في أصوله إلى ذوق عربي خالص ولا وجود للنقد العلمي الذي لاحت بوادره في بيئة العراق على أيدي النحويين واللغويين الأوائل.<sup>59</sup>

6- النقد في العصر العباسي: تطور النقد في هذا العصر واتسعت مجالاته؛ لأنه قد استفاد من الطرح النقدي السابق من العصر الجاهلي إلى القرن الثاني للهجرة؛ إذ نجد النقاد قد اعتمدوا على السابق وبنوا عليه، بالإضافة إلى ما اهتموا إليه بأنفسهم<sup>60</sup>، فنشط الرواة والعلماء في جمع وتدوين الكثير من اللغة والأشعار الجاهلية والإسلامية، بالإضافة إلى أقوال النقاد السابقين، والأقوال المنقولة عن اليونان والهند وفارس، ومن أبرز العلماء والرواة الأوائل الذين كان لهم الفضل في جمع التراث: قتادة بن دعامة، وأبو عمرو بن العلاء، أبو عبيدة، والأصمعي، أما أبرز الرواة الذين غلبت عليهم رواية الشعر دون غيرها فمنهم: حماد الرواية، والمفضل الضبي، وخلف الأحمر<sup>61</sup>.

كما عمل اللغويين والنحاة والرواة على جمع الشعر وتدوينه وتنقيحه ونقده، فقد جمع هؤلاء العلماء والرواة أشعار الجاهليين، والإسلاميين، ووفقوا بين رواياتهم ونقحوها وضبطوها وأبدوا رأيهم فيها ونقدوها نقدا

<sup>57</sup>- قدامه بن جعفر، نقد الشعر، ص 184.

<sup>58</sup>- ينظر، خالد يوسف، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، ص 91.

<sup>59</sup>- ينظر، المرجع نفسه، ص 93.

<sup>60</sup>- عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 270.

<sup>61</sup>- ينظر، خالد يوسف، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، ص 96.

إيجابيا تجاوز حدود التدوق إلى التعليل والتفسير.<sup>62</sup> وبذلك أصبح النقد في العصر العباسي لا يكتفي بالاستحسان والاستهجان، بل انتقل إلى التعليل؛ إذ نجد العلماء والرواة قد فاضلوا بين الشعراء، ف"يونس بن حبيب" يقدم "الأخطل" على باقي الشعراء؛ لأنه كان أكثرهم عدد طوال جيات ليس فيها سقط ولا فحش، كما كان أشدهم تهديبا للشعر.<sup>63</sup> كما أن أبا عبيدة معمر بن المثنى يروي حُجَجَ من فضل جريرا فيقول: "يحتج من قدّم جريرا بأنه كان أكثرهم فنونَ شعر وأسهلهم ألفاظًا، وأقلهم تكلفا، وأرقهم نسيبا، وكان دَيِّنا عفيفا"<sup>64</sup>. وعمدوا أيضا إلى شرح الشعر، وتبيان ما فيه من نبوغ أو ضعف، وعلى هذا الأساس صنفوا الشعراء فطفيل الغنوي أعلم العرب بالخيال، وأوصفهم لها، وامرؤ القيس يحسن وصف المطر، وعنترة يحسن ذكر الحرب، وأمّية بن أبي الصلت يحسن ذكر الآخرة، وعمر بن أبي ربيعة يحسن ذكر الشباب.<sup>65</sup>

وبذلك شهد النقد في هذا العصر تحولا تدريجيا؛ إذ تجاوز النقد السلبي الذي يقف عند حدود التدوق إلى نقد إيجابي يعتمد على التعليل والتفسير، وقد اتجه علماء هذا العصر اتجاهها جديدا غير مسبوق، وهو الاتجاه العلمي في النقد، وقد تمثل ذلك في جمع وتدوين الحجج التي أدلى بها أنصار كل شاعر في تقديمه وتفضيله، وبهذه الحجج صار للنقد العربي أسسٌ قائمة، وقد تجلّى الاتجاه العلمي في التأليف؛ إذ تم وضع كتب خاصة في النقد، وهناك من اهتم بالنقد ونهج فيه منهجا تاريخيا، وقد تمثل هذا المنهج في وضع كتب جمعوا فيها أشعار بعض الجاهليين والإسلاميين، ورتبوا أصحاب الطبقات، وذكروا آراء وأقوال النقاد والرواة في شعرهم.<sup>66</sup> ومن كتب الطبقات نجد كتاب "جمهرة أشعار العرب" لأبي زيد القرشي، وكتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمعي، وقد قسم "أبو زيد القرشي" الشعراء إلى طبقات، كل طبقة لها مواصفاتها وخصائصها، فقد اختار تسعا وأربعين قصيدة لتسعة وأربعين شاعرا، وجعلهم سبع طبقات، كل طبقة تشمل سبعة شعراء، ويعد هذا الكتاب أول محاولة نقدية في تاريخ النقد العربي.<sup>67</sup>

أما "ابن سلام الجمعي" فقد جمع ما قاله السابقون في النقد ونظمه تنظيما علميا وضمنه كتابه "طبقات الشعراء" وأضاف عليه، وقد تحدث في مصنفه عن نشأة بعض العلوم عند العرب، وبعض قضايا النقد والأدب، فقد أرخ لنشأة علمي النحو والعروض، كما تعرض للقراءات واللهجات ونشأة الشعر، وتنقله في

<sup>62</sup>- ينظر، خالد يوسف، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، ص 97

<sup>63</sup>- ينظر، المرجع نفسه، ص 98.

<sup>64</sup>- عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 273

<sup>65</sup>- ينظر، خالد يوسف، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 98

<sup>66</sup>- ينظر، عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 276

<sup>67</sup>- ينظر، خالد يوسف، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 101.



القبائل العربية منذ الجاهلية، وشكك في صحة بعض ما روي من أشعار الجاهليين والإسلاميين، كما تحدث عن ثقافة الناقد، ولعل أهم فكرة تعرض لها "ابن سلام" في ثنايا طبقاته هي فكرة "انتحال الشعر" أو الشعر الموضوع الذي ينسب للجاهليين وليس لهم، أما الفكرة الثانية فهي فكرة تقسيم شعراء الجاهلية والإسلام إلى طبقات، وقد اعتمد في ذلك على آراء سابقيه، ومعاصريه، وبنظم أقوالهم، ويضيف عليها ما اهتدى إليه بذوقه الخاص وعينه الفاحصة المدققة من آراء وأحكام غير مسبقة.<sup>68</sup>

ومن الأدباء والعلماء الذين اهتموا بالأدب، والشعر، والبلاغة، وكان لهم اليد الطولى في عملية التأليف نجد "الجاحظ" (أبو عثمان عمرو بن بحر)، وقد طرح في كتابيه "البيان والتبيين" و"الحيوان" قضايا البلاغة والنقد، وإن كانت هذه القضايا مبثوثة في ثنايا كتابيه، ومن أهم القضايا: قضية اللفظ والمعنى، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، وقضية السرقات، قضية القديم والحديث وغيرها.<sup>69</sup>

كما وضع "ابن المعتز" كتابه "البديع" ووضح فيه أن الشعراء المحدثين لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم.<sup>70</sup> وقد التمس "ابن المعتز" ظواهر البديع في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وأقوال الصحابة، والشعر الجاهلي، والشعر المحدث والمولد، ويعد "... أول كتاب في تاريخ علوم النقد والبلاغة، يتناول الأدب تناولاً فنياً... إذ نراه يدرس العبارة وينقدها، كما يتوقف عند الصور التعبيرية أو الأساليب البلاغية وقد أسس بذلك لوجود مقياس جديد في النقد الأدبي هو (المقياس البديعي) الذي أخذ يقيس الأدب بما يرد فيه من بديع"<sup>71</sup>. وجاء بعده كثير ممن ألفوا في البلاغة والنقد فنحوا المنحى نفسه دون تجديد يذكر من هؤلاء النقاد والبلاغيين: ابن عبد ربه في كتابه "العقد الفريد"، وقدامه بن جعفر في كتابه "نقد الشعر"، وابن رشيق في كتابه "العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده"، وابن سنان الخفاجي وكتابه "أسرار الفصاحة"، وعبد القاهر الجرجاني وكتابه "دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة" وغيرهم.

وبذلك عرف هذا العصر الكثير من المصنفات البلاغية والنقدية وكتب التراجم التي لم تخل من نظرات نقدية، كما تجلّى في هذا العصر أثر لخصومة الأدباء والشعراء من جراء مفاضلاتهم بين الشعراء وانعكس ذلك على النقد، إذ نجد مؤلفين هما: الصولي والآمدي، فألف هذا الأخير كتاب الموازنة، وألف "الصولي" كتاب

<sup>68</sup>- ينظر، خالد يوسف، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، ص 101-102.

<sup>69</sup>- ينظر، عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، مدخل إلى نظرية الأدب العربي، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط1، 1997، ص

137 وما بعدها

<sup>70</sup>- ابن المعتز، البديع، تقديم وشرح وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1990م، ص73.

<sup>71</sup>- قصي الحسين، النقد الأدبي عند العرب واليونان، ص 342.

أخبار أبي تمام. كما نجد أيضا عبد العزيز الجرجاني وكتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه. كما نجد بعض الرسائل التي اتسمت بنقدها الخيالي والتي امتزج فيها النقد الأدبي بالنقد الديني والفلسفي منها رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، ورسالة التوابع والزوابع لابن شهيد، وبذلك عد العصر العباسي عصر العلم والأدب والتزاوج بين الثقافة الأجنبية من هندية وفارسية ويونانية، كما ظهر اتجاه علمي تمثل في جمع وتدوين الحجج المقامة على تقديم وتفضيل شاعر عن آخر كما تمثلت علمنة النقد في وضع كتب خاصة بالنقد وما يتصل به.<sup>72</sup>

أما النقد في المغرب فقد ارتبط بالحركة النقدية التي ظهرت في المشرق، وأثارت هذه الحركة الواسعة كثيرا من القضايا النقدية منها مفهوم الشعر، قضية الشعر والنثر، والمفاضلة بينهما، قضية السرقات، قضية اللفظ والمعنى، قضية الطبع والصنعة، وهذا ما أدى إلى ظهور مؤلفات منها: الممتع في علم الشعر وعمله، العمدة لابن رشيق، ومسائل الانتقاد لابن شرف، والروض المريع لابن البناء، المنزح البديع للسجلماسي، وغيرها من المصنفات النقدية التي تعكس بدورها تطور النقد المغربي. أما النقد الأدبي في الأندلس "لم يستطع قبل القرن الخامس أن يرتفع إلى مستوى المشكلات الكبرى التي دارت في النقد المشرقي... بل ظل بسيطا في مجالي المستوى والتطبيق... وقد نجد وقفات نقدية عند ابن عبد ربه في العقد ولكنها جميعا مقتبسة مما عرف عند المشاركة من حديث عن عيوب الشعر وعدم تفضيل القدماء على المحدثين وتوفير الملكة والدربة... ويسمي السرقة باسم الاستعارة ويرى أن أخفاها وأدقها ما كان ينقل المنثور إلى المنظوم أو العكس"<sup>73</sup>، ولكن النقد الأندلسي عرف بعد ذلك تطورا كبيرا لأسباب عدة منها: الحركة الثقافية التي أوجدها الحكم المستنصر (350-366)، وإنشاء ديوان للشعراء لا يقيد اسم الشاعر حتى يثبت تفوقه، وهذا يخلق تربة صالحة لنمو نقد سليم، انفتاح العقول على شيء من المنطق والفلسفة، وكذلك الأثر المشرقي<sup>74</sup>، ومن أهم النقاد في القرن الخامس نجد ابن شهيد من مؤلفاته النقدية: رسالة الزوابع والتوابع، وكتاب حانوت عطار، وابن حزم له عدة رسائل منها التقريب لحدود المنطق، وله رسالة في إعجاز القرآن، وبعد ذلك نجد العديد من المؤلفات التي تضمنت الجانب النقدي منها: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام، وتلخيص كتاب الشعر لابن رشد، ومقدمة ديوان ابن خفاجة، ريحان الألباب وريحان الشباب للمواعيني، والمطرب من أشعار أهل المغرب، بالإضافة إلى الشروحات الشعرية التي تجلت فيها الملامح النقدية.

<sup>72</sup>- ينظر، ينظر، خالد يوسف، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 113.

<sup>73</sup>- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، 471.

<sup>74</sup>- المرجع نفسه، ص 472-473.

## قائمة المصادر والمراجع:

- 1-الأصفهاني (أبو الفرج)، الأغاني، دار الكتب المصرية، القاهرة، دط، 1953.
- 2-حسين الحاج حسن، النقد الأدبي في آثار أعلامه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 1996م.
- 2-الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، الحيوان، مج1، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1965م
- 3-خالد يوسف، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، دط، دت.
- 4-رفعت التهامي عبد البر، النقد الأدبي العربي القديم: تطوره وقضاياها، دار النشر الدولي، الرياض، ط1، 2008م.
- 5-سهير قلماوي، النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1959م.
- 6-شوقي ضيف، النقد، دار المعارف، مصر، ط4، 1979.
- 7-طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، طبعة مزيدة ومنقحة، 2004م.
- 8-عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1982م.
- 9-عمر عروة، دروس في النقد الأدبي القديم: أشكاله وصوره ومناهجه، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010،
- 10-عيسى علي العاكوب: التفكير النقدي عند العرب، مدخل إلى نظرية الأدب العربي، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط1، 1997.
- 11-أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج1، مطبعة دار الكتب المصرية، دط، 1952،
- 12-ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، دط، دت.
- 13-قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، دط، دت.

- 14- كثير عزة، الديوان، جمعه وشرحه إحسان عباس، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت-لبنان، دط، 1971.
- 15- محمد أحمد العزب، قضايا نقد الشعر في التراث العربي، ج1، مطبعة الفجر الجديدة، منشية ناصر، القاهرة، دط، 1984م.
- 16- محمد مندور، معارك أدبية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، دط، دت.
- 17- المرزباني: الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، تح محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م.
- 18- ابن المعتز، البديع، تقديم وشرح وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1990م، ص73.
- 19- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، مج3، دار صادر، بيروت، دط، دت.

## المحاضرة الثانية: ببليوغرافيا المصنفات النقدية في المشرق والمغرب والأندلس.

-تمهيد:

تميز العصر العباسي، وبخاصة في القرن الثالث بوضع كتب خاصة في النقد وما يتصل به، وهذا نتيجة لاتساع العلوم، والمعارف في هذا العصر؛ إذ أتيحت الثقافات المختلفة للعرب عن طريق الترجمة، مع إتاحة الحرية للعلماء وتشجيعهم على التأليف، والتثقيف والتحاور، فظهر في هذا العصر كبار النقاد الذين أفادوا من معطيات عصرهم وتكاملت جهودهم، وهذا ما أدى إلى تأليف العديد من المصنفات النقدية من طرف نقاد كانت لهم اليد الطولى في التحليل والموازنة والتعليل، والسعي إلى إقامة النظريات وتشديد المناهج، وطرح القضايا النقدية<sup>75</sup> المختلفة ما أسهم في تطور الحركة النقدية، ولعل من أهم المصنفات التي تجلت فيها الناحية النقدية ما يأتي:

1- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (ت 232 هـ): وهو أول كتاب في النقد وصل إلينا، وقد حاول فيه صاحبه أن يصنف الشعراء، ويضعهم في مراتب أو طبقات، وينقسم الكتاب إلى قسمين: القسم الأول يضم المقدمة، وقد احتوت على قضايا نقدية منها مفهوم الشعر. كما ناقشت قضية الانتحال أو الشعر الموضوع. أما القسم الثاني فيحتوي على تصنيف فحول الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين وفقا لترتيب معين عن طريق تقسيمهم إلى طبقات، وقد فاضل بين الشعراء على أسس ثلاثة: الجودة، تنوع الأغراض والكم.<sup>76</sup> ويعد من أهم كتب النقد العربي القديم.

2- كتاب الحيوان والبيان والتبيين للجاحظ (ت 255 هـ): جاء النقد متفرقا في كتب الجاحظ، وقد تجلى بصورة أكبر في (البيان والتبيين والحيوان)، إذ يحتويان على موضوعات لها علاقة بالنقد الأدبي؛ إذ طرح عدة قضايا منها: قضية اللفظ والمعنى، السرقات الأدبية، الموازنة بين الشعراء، المعنى الشعري، ميلاد الشعر، الشعر والترجمة وغيرها. أما كتاب البيان والتبيين فمن بين أسباب تأليفه الرد على الشعوبية وإظهار معنى الفصاحة والبلاغة عند العرب، وكان من أوائل العلماء الذين ربطوا الفصاحة بجهاز النطق عند الإنسان،

<sup>75</sup> - ينظر، رفعت التهامي عبد البر، النقد الأدبي العربي القديم، دار النشر الدولي للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1429هـ، ص 161

<sup>76</sup> - ينظر، عز الدين إسماعيل: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ص 229.

وتحدث عن آفات النطق، وعن فنون القول والعلوم عند العرب، وقد وضعه الجاحظ في ثلاثة أجزاء، ومن أهم القضايا النقدية الماثورة فيه: ماهية الشعر وجوهره، ومصدر الشعر والسرقات الشعرية، وموضوعية النقد الأدبي، والشعر والطبع، وبناء لغة الشعر،<sup>77</sup> وغيرها من القضايا.

3- الشعر والشعراء لابن قتيبة (ت 276 هـ): اكتفى في كتابه بذكر أهم الشعراء القدماء والمحدثين وأشهرهم، جاعلاً أساس المفاضلة الجودة والفصاحة وسلامة التراكيب والأصالة ودقة المعاني، وقد ترجم في كتابه لمائتين وستة من الشعراء مع ثراء في عرض الأخبار، والأشعار، وآراء العلماء، وقد بدأ بالشعراء الجاهليين، ثم المخضرمين، فالإسلاميين، ثم المحدثين<sup>78</sup>، ويكتفي بذكر موجز من أخبار كل شاعر مع ما اشتهر به في شعره من مديح أو هجاء أو غزل، وما يروى له أو يستشهد به<sup>79</sup>، ومن أهم القضايا النقدية العامة التي طرحها في كتابه: القديم والحديث، الطبع والتكلف، بناء القصيدة وغيرها.

4- كتاب البديع لابن المعتز (ت 296 هـ): يعد كتاب البديع من أهم آثار ابن المعتز في البلاغة والبيان، وقد ألفه سنة 274 هـ<sup>80</sup>، وهو -حسب النقاد- "أول بحث منهجي في البلاغة والنقد والشعر"<sup>81</sup>، وقد سماه "بالبديع" وهو موضوعه الرئيس؛ إذ تحدث فيه عن الالتفات والاعتراض، والرجوع، وحسن الخروج، وتأكيد المدح بما يشبه الذم والتضمين، والتعريض، والكناية والإفراط في الصنعة وحسن التشبيه، وأقر أن البديع ليس مستحدثاً، وإنما كان الفضل فيه للقدماء، وبذلك فهو ذو أصول راسخة، وليس العيب فيه؛ إنما العيب في الإفراط في استخدامه<sup>82</sup> وبهذا فهو "...أول كتاب في تاريخ علوم النقد والبلاغة، يتناول الأدب تناولاً فنياً... إذ نراه يدرس العبارة وينقدها، كما يتوقف عند الصور التعبيرية أو الأساليب البلاغية، وقد أسس بذلك لوجود مقياس جديد في النقد الأدبي هو (المقياس البديعي) الذي أخذ يقيس الأدب بما يرد فيه من بديع"<sup>83</sup>.

<sup>77</sup> - ينظر، عيسى علي العاكوب: التفكير النقدي عند العرب، مدخل إلى نظرية الأدب العربي، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط1، 1997، ص 137-138-139-140.

<sup>78</sup> - ينظر، رفعت التهامي عبد البر، النقد الأدبي العربي القديم، ص 245-252.

79 - محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، منشأة المعارف، الإسكندرية، دط، دت، ص 145.

80 - ابن المعتز، البديع، تقديم وشرح وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1990، ص 57.

81 - ينظر قصي الحسين: النقد الأدبي عند العرب واليونان، ص 338.

82 - ينظر، إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، 121 دار الثقافة، بيروت-لبنان، ط4، 1983 م-122.

<sup>83</sup> - قصي الحسين: النقد الأدبي عند العرب واليونان، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس-لبنان، ط1، 2003.

5- كتاب عيار الشعر لابن طباطبا العلوي (ت 322 هـ): قصد ابن طباطبا من تأليف هذا الكتاب أن يبين علم الشعر، والطريقة التي يتوصل بها إلى نظمه، وأهم الفكر النقدي فيه: النظم أو الوزن، أساس الشعر، ثقافة الشاعر، وإنشاء القصيدة، خصائص الشعر الجيد، مشاكلة الألفاظ للمعاني، أو تجانس الشكل والمضمون، وجماليات الشعر بين القدماء والمحدثين، المضامين الأساسية للشعر وغيرها.<sup>84</sup> ويعد هذا الكتاب حلقة متممة لما ورد في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة؛ إذ يتجلى للقارئ أن ابن طباطبا قد اطلع على مقدمة كتاب "ابن قتيبة" وأفاد من الأحكام والنظرات التي وردت فيها.<sup>85</sup>

6- كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر (ت 337 هـ): أقر قدامه أنه "أول كتاب يؤلف في النقد"<sup>86</sup>، وقد أراد صاحب هذا الكتاب أن يسدّ خلا في حركة التأليف حول فن الشعر عند سابقه ذلك أن العلم بالشعر حسب تصوره خمسة أقسام: علم عروضه ووزنه/ علم قوافيه ومقاطعته/ علم غريبه ولغته/ علم معانيه والمقصد به/ وعلم جيده من رديئه، وأن الناس ألقوا في أربعة الأقسام الأولى لكنهم لم يضعوا كتابا في نقد الشعر، وتخليص جيده من رديئه، وأهم الفكر النقدي التي طرحها في كتاب نقد الشعر: تعريف الشعر، أسباب الشعر أو مكوناته الرئيسية، وأوصاف الشعر، اللفظ والمعنى، وجودة المعاني وصلتها بالأغراض الشعرية وغيرها.<sup>87</sup> وبذلك فقد وضع مذهباً نقدياً لنقد الشعر متأثراً بالثقافتين العربية الأصيلة، والفلسفة اليونانية، وعليه فقد نهج في نقد الشعر منهجاً علمياً.<sup>88</sup>

7- الموازنة بين الطائيين للآمدي (ت 371 هـ): الاسم الكامل للكتاب هو: (الموازنة بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وأبي عبادة الوليد بن عبيد البحر في شعرهما)، والمتصفح للموازنة يجد الكاتب حريصاً على منهجه العلمي وحسن ترتيبه وتنظيمه<sup>89</sup>، ويتألف الكتاب من قسمين: الأول تقديم طويل في النقد التطبيقي طرح فيه مذهبي الشعارين ومساوئهما في السرقات، وغلطهما في المعاني والألفاظ، وإساءة من أساء منهما في الطباقي، والجناس، والاستعارة ورداءة النظم، واضطراب الوزن، والثاني الموازنة نفسها، وقد عمد الآمدي إلى اختيار أشعار الشعارين في كل غرض من الأغراض الشعرية، وفي كل غرض ذكر المعاني التي يتفق فيها الشاعران،

<sup>84</sup> - ينظر، عيسى علي العاكوب: التفكير النقدي عند العرب، ص 181-182-183.

<sup>85</sup> - ينظر، إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 134.

<sup>86</sup> - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تح عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية بيروت، د ط، دت، ص 6.

<sup>87</sup> - ينظر، عيسى علي العاكوب: التفكير النقدي عند العرب، ص 205-206-207.

<sup>88</sup> - المرجع نفسه، ص 184.

<sup>89</sup> - ينظر، رفعت التهامي عبد البر، النقد الأدبي العربي القديم، ص 275.

ووازن بينها معنى معنى، وذكر أي الشعاعين أشعر في هذا المعنى.<sup>90</sup> وبذلك فقد احتوى هذا الكتاب على مادة نقدية ثرية منها: الكشف عن السرقات، والقراءة الدقيقة، الموازنة.

8- حلية المحاضرة لمحمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي(388): حاول فيه الحاتمي إرساء القواعد والمصطلحات السابقة في الشعر، ومن الموضوعات التي طرحها: فصول في المصطلح الشعري البلاغي مثل: الاستعارة والتقسيم والمجانسة والتتميم والاستطراد والتشبيه، والحشو والاغراق، والابتداء والتخلص، وفصول في الأبيات التي تمثل الحكمة والأمثال الشاردة وأحسن بيت وأصدق بيت وأكذب بيت، وعرض بابا في مجاز الشعر وأنواع السرقات ومراتبها، وتحدث عن أبيات المعاني في موضوعات مختلفة، وعقد فصلا سماه "الفصل التاسع في السابق والمصلي" وتحدث فيه عن قضية تداول المعاني وبيان ما سبق إليه الشعراء، وأخذ اللاحق عن السابق.<sup>91</sup> وألّف الحاتمي أيضا رسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره، ورسالة فيما وافق أرسطو من شعر المتنبي.

9-الوساطة بين المتنبي وخصومة للقاضي الجرجاني (ت 392هـ): قصد الجرجاني من تأليفه أن يُنصف المتنبي فليحقه بطبقته من المحدثين كبشار بن برد، وأبي نواس وأبي تمام، وقد سعى إلى تحقيق الإنصاف والحيدة، وقد ألم في وساطته بعدد من قضايا النقد منها: السرقات الشعرية، الفن والأخلاق أو الشعر والدين، تطور لغة الشعر من الفخامة إلى الرقة، والقديم والحديث، والطبع والصنعة، وعمود الشعر عند العرب ومذهب البديع.<sup>92</sup> وهذا الكتاب يعكس لنا طبيعة التفكير النقدي عند القاضي الجرجاني.

10-كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري(395هـ): جمع في هذا الكتاب بين البلاغة والنقد، وقد استفاد من النقاد السابقين في تأليفه كالجاحظ وابن قتيبة والآمدي، والجرجاني، كما تأثر بقدامة وتقسيماته في البلاغة، وقد طرح في كتابه قضية الخلق الأدبي، وقضية السرقات، واللفظ والمعنى.<sup>93</sup>

11-كتاب العمدة لابن رشيق (ت 456 هـ): هو كتاب جامع من حيث أنه معرض للآراء النقدية التي ظهرت في المشرق حتى عصر ابن رشيق، وقد تحدد هذا الكتاب "في جزأين وفي كل جزء عدة أبحاث قصيرة أطلق عليها أبوابا بلغت في جملتها مائة وستة بابا، منها أربعة وأربعون في الجزء الأول واثنتان وستون في الجزء الثاني يجمع بينهما خط واحد هو الحديث عن الشعر"<sup>94</sup>. وقد عول في تأليفه على قريحته، ولكن هذا لا يعني الابتكار، وإنما

<sup>90</sup> - عيسى علي العاكوب: التفكير النقدي عند العرب، ص 234

91 - ينظر، إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 255-556.

92 - نظر، عيسى علي العاكوب: التفكير النقدي عند العرب، ص 270-271-273-274-275.

<sup>93</sup> - ينظر، رفعت الهامي عبد البر، النقد الأدبي العربي القديم، ص 311-312.

<sup>94</sup> أحمد سيد محمد، المصدر الأدبي، مفهومه وأنواع دراسته، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1986، ص 106.



التصرف في النقل فيما يجوز فيه التصرف<sup>95</sup>، ومن أبرز الموضوعات التي طرحها في كتابه: فضل الشعر، وحده، وصياغته وأوزانه وقوافيه، وألفاظه، ومعانيه، الشعر المصنوع والمطبوع، الأنماط البلاغية، بناء القصيدة (المبدأ، والخروج، والنهاية).

12- كتاب دلائل الإعجاز وكتاب وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ): يعد عبد القاهر بما أتى في كتابيه أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز بلاغيا قليل النظير في تاريخ البلاغة العربية، وناقدا أدبيا حاذقا، وقد بنى كتابه الأول على فكرة النظم، والثاني بناه على فكرة التصوير الفني، ومن أهم الفكر النقدية في الأسرار والدلائل: التصوير الفني للمعاني، فكرة النظم<sup>96</sup>. وأصدر "... في الدلائل والأسرار على كثير من الأدباء والشعراء أحكاما صادقة تدل على عدالة نقده، ويستدل بالكثير من أشعار المحدثين، ويعقد في الكثير بينها موازنات تدل على وقوفه على دقائق البيان"<sup>97</sup>.

13- كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني ت (684 هـ): الكتاب يتألف من أربعة أقسام إلا أن القسم الأول ضاع كما فقدت أيضا المقدمة، وقد سعى "حازم القرطاجني" إلى تبيان أسس الجودة الشعرية عند العرب مشفوعة بالقوانين البلاغية المعضودة بالأصول المنطقية والحكمية، وطرح في القسم الأول من الكتاب قضايا تتصل بالقول وأجزائه والأداء وطرقه والأثر الذي يحصل عند صدور الكلام، وموضوع القسم الثاني هو المعاني الشعرية والقوانين البلاغية التي تُعرف بها أحوالها من جهة ملاءمتها للنفوس أو منافرتها لها، أما القسم الثالث فموضوعه النظم والقوانين البلاغية، وموضوع القسم الرابع الطرق الشعرية، وما تنقسم إليه وما يُنحى بها نحوه من الأساليب والتعريف بما أخذ الشعراء. ومن أهم الفكر النقدية: المعاني الشعرية، غموض المعاني الشعرية، الطبع الشعري، الأغراض الشعرية، مفهوم الشعر وغيرها.<sup>98</sup>

وغيرها من المصنفات النقدية منها: فحولة الشعراء للأصمعي (ت 210 هـ)، و"الكامل في اللغة والأدب" للمبرد (ت 285 هـ)، و"أخبار أبي تمام" لأبي بكر الصولي (ت 335 هـ)، وكتاب الموشح للمرزباني (378 هـ) "كتاب الصناعتين" لأبي هلال العسكري (ت 395 هـ)، وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه (ت 328 هـ)، و"سر الفصاحة" لابن سنان الخفاجي (ت 466 هـ)، و"المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" لابن الأثير (ت 637 هـ)، وكتاب "الممتع في عمل الشعر وعمله" لعبد الكريم النهشلي (ت 403 هـ)، التوابع والزوايع لابن شهيد (ت 426 هـ)، وكتاب "شرح المشكل من شعر المتنبي" لابن سيده الأندلسي (458 هـ)، و"رسائل الانتقاد" لابن شرف القيرواني (ت 460 هـ)،

<sup>95</sup> - إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 444-445.

<sup>96</sup> - ينظر، عيسى علي العاكوب: التفكير النقدي عند العرب، ص 264-295-296-297.

<sup>97</sup> - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح عبد المنعم خفاجي، دار الجيل بيروت، ط 1، 2004، ص 07.

<sup>98</sup> - ينظر، عيسى علي العاكوب: التفكير النقدي عند العرب، ص 319-320-321-322.

ورسائل ابن حزم (ت456هـ)، وكتاب "إحكام صنعة الكلام" لأبي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي (550هـ). وكتاب "ريحان الألباب وريحان الشباب" لابن خيرة المواعيني (564هـ)، وكتاب "المتزح البديع في تجنيس أساليب البديع" للسجلماسي (704هـ)، وكتاب "الروض المريع" لابن البناء المراكشي (721هـ)، و"المقدمة" لابن خلدون (ت808هـ).

#### - المصادر والمراجع المعتمدة:

- 1- أحمد سيد محمد: المصدر الأدبي، مفهومه وأنواع دراسته، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1986.
- 2- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، 121 دار الثقافة، بيروت-لبنان، ط4، 1983م -122.
- 3- رفعت التهامي عبد البر، النقد الأدبي العربي القديم، دار النشر الدولي للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1429هـ.
- 4- عز الدين إسماعيل: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1976.
- 5- عيسى علي العاكوب: التفكير النقدي عند العرب، مدخل إلى نظرية الأدب العربي، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط1، 1997.
- 6- قصي الحسين: النقد الأدبي عند العرب واليونان، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس-لبنان، ط1، 2003.
- 7- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح عبد المنعم خفاجي، دار الجيل بيروت، ط1، 2004.
- 8- قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تح عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، دت.
- 9- محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، دت.
- 10- ابن المعتز، البديع، تقديم وشرح وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1990.

## المحاضرة الثالثة: النقد الانطباعي

### توطئة:

النقد الانطباعي يمثل ذلك اللقاء الآني بين الخطاب الشعري والمتلقي، وذلك التأثير الناتج عن هذا اللقاء الذي يحدثه على مستوى وجدان المتلقي، وعليه فالانطباعية تعني ذلك التأثير الآني الذي يحدثه الخطاب في وجدان المتلقي واستحواذه على نفسه لاحتوائه على قيم جمالية وصور رائقة استطاعت هزّ مشاعره، وبذلك فهذا اللقاء يحدث نوعاً من التغيير، وهذا الأخير يتحكم في طبيعة الحكم على الخطاب الشعري، وبذلك فهو يمثل ذات الناقد وموقفه من هذا الخطاب، وعليه يمكن القول أن النقد الانطباعي التأثري يعكس الموقف الذاتي للناقد، ومدى تأثره بالعمل الإبداعي.

فالنقد الانطباعي نقد ذاتي وذوقي ينبع من وجدان الناقد، والنقد في العصر الجاهلي بدوره كان مبنياً على الذوق والفطرة لا الفكر التحليلي، فهو نقد ذوقي غير مسبب، نقد يقف عند الجزئيات<sup>99</sup>، وبذلك فالعرب عرفوا النقد، ومارسوه، ولكن الأحكام التي تم إصدارها في تلك الحقبة تميزت بـ"الانطباعية الخالصة والأحكام الجزئية التي تعتمد المفاضلة بين بيت وبيت أو تمييز البيت المفرد، أو إرسال حكم عام في الترجيح بين شاعر وشاعر"<sup>100</sup>. وهذا يعني أن النقد الأدبي في "أوليته... يعتمد على الذوق والموهبة والخبرة والتجارب الأدبية، وأنه في الغالب كان أحكاماً ذاتية مجملة يرسلها النقاد لا يعنون معها بذكر الأسباب أو تعليل الأحكام..."<sup>101</sup>، وهذا يعني أنهم كانوا يعتمدون على ذوقهم الخاص، وليس على التحليل والتعليل، وبذلك فالنقد في العصر الجاهلي كان نقداً انطباعياً.

وقد أقر "عبد العزيز عتيق" أن النقد العربي القديم بدأ تأثرياً، وإذا كان الإنسان لا ترتاح نفسه إلا إذا وجد الأشياء منسقة، ومرتبطة في مواضعها دون تشويه، فإن الناقد لا يرضى أن تكون النصوص الشعرية مهلهلة يمج منها ذوقه؛ لأنه لا يستمتع بقراءتها ولا يلذ له أن يدرسها؛ لأنها لا تترك أثرها في نفسه ولا ينفعل

<sup>99</sup> - ينظر، عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1982م، ص21.

<sup>100</sup> - إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب: نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الثقافة، بيروت-لبنان،

ط4، 1983، ص45.

<sup>101</sup> - عروة عمر، دروس في النقد الأدبي: أشكاله وصوره ومناهجه، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2010، ص39.

بها.<sup>102</sup> ويبقى النقد الانطباعي عبارة عن أحكام نقدية غير معللة نحو: هذا أشعر بيت، أشعر الجن والإنس... وغيرها. وهذا يعكس طبيعة الأحكام التي يصدرونها بعد انفعالهم.

\*مجالاته:

\* نقد الألفاظ: تجلّى هذا النقد من خلال بعض الأحكام التي تعتمد على الذوق والسليقة، التي نقدت الألفاظ وبينت عدم قدرتها على الإيحاء بالدلالة الصحيحة، وهذا ما تمظهر في نقد طرفة بن العبد لقول "المسيب بن علس؛ إذ «مر المسيب بن علس بمجلس قيس بن ثعلبة فاستنشدوه فأنشداهم، فلما بلغ قوله:

وَقَدْ أَتَنَأَسَى الْهَمَّ عِنْدَ إِدْكَارِهِ    بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَمٍ

فقال طرفة: استنوق الجمل»<sup>103</sup>. فالشاعر حسب "طرفة" وسم الجمل بسمة تخص النوق، فالصيغرية سمة تظهر في عنق الناقة، ولا تكون في الجمل، فباستخدامه للفظ "الصيغرية" أسند صفة لغير ما تسند إليه، فهذا النقد صادر عن الذوق الفطري. كما عاب النقاد في العصر الجاهلي تكرار الألفاظ ذات معنى واحد، من ذلك قول الأعشى:<sup>104</sup>

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني    شاوٍ مِثْلُ شَلُولٍ شَلْشَلٌ شِوَالٍ

فهذه الألفاظ الأربعة في معنى.. كما عاب النابغة على حسان بن ثابت عدم استعمال الألفاظ في مواضعها، وتجلّى ذلك في قول حسان:

لنا الجففات الغريلمعن في الضحى    وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

نقده بقوله: إنك لشاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيافك، ولو قلت: يبرقن في الدجى لكان أبلغ، لأن الضيف في الليل أكثر، وقلت: (يقطرن من نجدة دما) فدلت على قلة القتل، ولو قلت: يجرين لكان أكثر لانصباب الدم.<sup>105</sup> نعين من هذا النص أن النابغة ركز على طبيعة الألفاظ المستخدمة، فهي حسب تصوره قاصرة على أداء المعنى، فهو يفضل اللفظ الذي يعطي المعنى حقه، وبخاصة في مواطن الفخر، وهذا يدل على مقدرة العقل العربي في تحديد الفروق بين صيغ الألفاظ، وذلك بواسطة الفطرة والسليقة.

<sup>102</sup>- عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 37.

<sup>103</sup>- المرزباني، الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، تح محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1995، 1، ص 94، 95.

ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج 1، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، دط، دت، ص 183

<sup>104</sup>- المصدر نفسه، ص 264.

<sup>105</sup>- ينظر، المرزباني، الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، ص 77.

\*نقد المعنى: مثال ذلك «قول الأعشى يمدح قيس بن معد يكرب الكندي أحد أشراف اليمن:

وُنُبِّئْتُ قَيْسًا وَلَمْ أُنْبَهُ      كما زعموا خيرًا أهل اليمن

فجئتُك مُرتادًا ما خَبَرُوا      ولولا الذي خَبَرُوا لم تَرَنَّ

ففي البيت الأول خطأ معنوي؛ لأن عدم اختبار الممدوح يُضعف الحكم؛ ولأن الزعم في عرف العرب مطية الكذب»<sup>106</sup>. ومن صور هذا النقد أيضا ما أخذ على النابغة الذبياني في مدحه للنعمان:

«تخب إلى النعمان حتى تناله      فدى لك من ربّ طرفي وتالدي

وكنتُ امرءًا لا أمدح الدهر سوقة      فلسنت على خيرأتاك حاسد

فامتن عليه بمدحه وجعله خبرا سبق إليه لا يحسده عليه»<sup>107</sup>. فهذا الانحراف يمكن أن يؤثر على نمط المدح ويؤثر بطريقة سلبية في الممدوح. كما عابوا أيضا الغلو في المبالغة وعدوها عيبا من عيوب الشعر؛ إذ عابت العرب على المهلهل بن ربيعة الغلو في قوله:

فلولا الريحُ أسمع من بحجر صليل البيض تُقرع بالذكور

وقد قيل: إنه أكذب بيت قالته العرب، وبين حُجر وبين مكان الواقعة عشرة أيام وهذا أشد غلوا من قول امرئ القيس في النار.<sup>108</sup> وأول من تأثر به في المبالغات الشعرية امرؤ القيس في قوله:

تنورتها من أذرعات وأهلها      بيثرب أدنى دارها نظرعال.

وهذا يدل على أن العرب قديما تعيب على الشاعر أبيات الغلو لأنه يفسد المعنى.<sup>109</sup>

\*العروض: الفرد العربي في العصر الجاهلي لا يعرف العروض، وإنما يعتمد على حاسة السمع والفترة لمعرفة الخلل الموسيقي في الشعر، لذلك نجدهم قد عابوا على النابغة الذبياني "الإقواء"، وهو اختلاف حركة الروي في القصيدة؛ إذ قال:

<sup>106</sup>- عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 22.

<sup>107</sup>- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج 1، ص 169

<sup>108</sup>- ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر ونقده، قدم له وشرحه صلاح الدين الهوارى، وهدى عودة، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان،

دط، 2002، ص 101.

<sup>109</sup>- ينظر، عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 24.

أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُغْتَدِي عَجْلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوِّدٍ

زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنَّ رَحِلَتْنَا غَدًا وَبِذَلِكَ خَبَّرْنَا الْغُرَابَ الْأَسْوَدَ

فغيب ذلك عليه، وقال: «قدمت الحجاز، وفي شعري صنعة، ورحلت عنها، وأنا أشعر الناس». <sup>110</sup> وممن أقوى في شعره من الجاهليين أيضا "بشر بن أبي خازم"؛ إذ "قيل لأبي عمرو بن العلاء: هل أقوى أحد من فحول شعراء الجاهلية كما أقوى النابغة؟ قال: نعم بشر بن أبي خازم؛ قال:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ طُولَ الدَّهْرِ يُسْلِي وَيُنْبِي مِثْلَ مَا نُسِيَتْ جُدَامُ

وَكَانُوا قَوْمًا فَبَغُوا عَلَيْنَا فَسُقْنَا هُمْ إِلَى الْبَلَدِ الشَّامِي

...فقال له أخوه سمير: أكفأت وأسأت. قال: وما ذاك؟ قال: قلت: "كما نسيت جُدَام"، ثم قلت: "إلى البلد الشامي" فقال: قد تبينت خطئي، ولست بعائد" <sup>111</sup>.

\*الحكم على الشاعر بوصف الطابع العام له: وتجلي ذلك في "تحاكم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وعبدُ بن الطيب والمخبل السعدي إلى ربيعة بن حُذار الأسدي في الشعر، أيهم أشعر؟ فقال للزبرقان: أما أنت فشعرك كلحم أسخن لا هو أنضح فأكل ولا ترك نيئا فينتفع به، وأما أنت يا عمرو فإن شعرك كبرودٍ جبرٍ يتلألأ فيها البصر فكلما أُعيد فيها النظر نقص البصر، وأما أنت يا مخبل، فإن شعرك قصر عن شعرهم وارتفع عن شعر غيرهم، وأما أنت يا عبدة فإن شعرك كمزادةٍ أحكم خرزها، فليس تقطر ولا تمطر" <sup>112</sup>. فهذا اللون من النقد يركز على تذوق الروح العامة للشعر، إذ يعمد الناقد إلى إخراج انطباعه عن الشاعر جملة. <sup>113</sup> وهذا النموذج حسب "إحسان عباس" من أرقى النماذج دلالة على طبيعة النقد الأدبي قبل أن يصبح لهذا النقد كيان واضح، فهذا النموذج يعبر عن الانطباع الكلي دون اللجوء للتعليل، وذلك هو شأن أكثر الأحكام التي نجدها منذ الجاهلية حتى قبيل أواخر القرن الثاني الهجري <sup>114</sup>.

\*المفاضلة: تجلى هذا النمط من خلال اختيار قصائد بعينها فاقت قريناتها من حيث الجودة، وأطلقوا عليها ألقابا تعد إقرارا بوجودتها، من ذلك قصيدة حسان بن ثابت التي قال فيها:

110- المرزباني: الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، 51

111- المصدر نفسه، ص 75.

112 - م ن، ص 93.

113- ينظر، عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 26.

114- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 15.

لِلَّهِ دُرُّ عِصَابَةٍ نَادَمْتُهُمْ \*\* يَوْمًا بَجَلِّقَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

وصفوها بـ "البتارة": لأنها بترت غيرها من القصائد.<sup>115</sup> وكذلك قصيدة "سويد بن أبي كاهل" التي وصفت بأنها "اليتيمة" ومطلعها:

بسطت رابعة الحبل لنا فوصل الحبل منها ما انقطع

فقد قال الأصمعي: «إن العرب كانت تفضلها وتعدُّها في حكمها، وأنها كانت تُسمى في الجاهلية "اليتيمة"»<sup>116</sup>، ونجد كذلك قصيدة "علقمة بن عبدة" يقول فيها:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

قالوا: هذه سِمْطُ الدهر. (المراد بالسِمْط هنا العقد أو القلادة).<sup>117</sup> ونمط هذه المفاضلة يوضح تحكُّم الذوق الفطري في عملية النقد.

\*نقد الصورة الشعرية: هذا النمط ينظر إلى جودة الشعر، ومدى قدرة الشاعر على إبداع صورة شعرية رائعة ومتصلة بالعرف، وهذا ما تجلَّى في تحاكم كل من امرئ القيس وعلقمة عند أم جندب في أيهما أشعر، «...فقالت: قولاً شعراً تصفان فيه الخيل على روي واحد وقافية واحدة، فقال امرؤ القيس:

خَلِيلِي مُرًّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ لِنَقْضِي حَاجَاتِ الْفُؤَادِ الْمُعَدَّبِ

وقال علقمة: ذَهَبَتْ مِنَ الْهَجْرَانِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ وَلَمْ يَكْ حَقًّا كُلُّ هَذَا التَّجَنَّبِ

ثم أنشدها جميعاً، فقالت لامرئ القيس: علقمة أشعر منك، قال: وكيف ذاك؟ قالت: لأنك قلت

فَللسَّوْطِ الْهُوبِ وَللسَّاقِ دَرَّةٌ وَللرَّجْرِ مِنْهُ وَقَعٌ أَخْرَجَ مُهْدَبِ

فجهدت فرسك بسوطك ومَرَّتَهُ بساقك، وقال علقمة:

فَأُذْرِكُهُنَّ ثَانِيَا مِنْ عِنَانِهِ يَمْرُكَمَرِ الرَّائِحِ الْمُتَحَلَّبِ

فأدرك طريدته، وهو ثانٍ من عِنَانِ فرسه لم يضربه بسوط، ولا مرَاه بساق، ولا زجره»<sup>118</sup>.

115- خالد يوسف، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1987، ص49

116 - المرجع نفسه، ص 49.

117- عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، 27

نعانين من هذا النص أن أم جندب "نظرت... إلى الصورة المثلى للفرس، وما ينبغي أن يكون له من قوة وسرعة فجعلته المقياس الذي تحكم به للشاعر أو عليه... فليس المطلوب من الشاعر في نظرها أن يكون صادقا في تصويره واقعيًا في نظرتة، وإنما ينبغي أن ينظر إلى المثل الأعلى فيجب أن يكون جواد امرئ القيس أصلب عودا وأجمل منظرا وأكثر سرعة وأشد احتمالا، وألا يلهبه بسوط ولا يسرجه بساق ولا يزجره بصوت"<sup>119</sup>، وبذلك فقد اعتمدت "أم جندب" على سليقتها العربية الحساسة؛ إذ ربطت بين الشاعر وبيئته وما يكون فيها ومعايشتها لطبائع الفرس، ومعرفتها نوعية الفرس الجيدة من الرديئة وما يليق بكل منها وما يستجيب له.<sup>120</sup> وبذلك فحكمها نابع من فهمها لطبيعة البيئة العربية، وكانت أيضا على حظ من التذوق الأدبي ودقة النظر النقدي في عصر بكاراة العروبة والبداءة والفترة السليمة<sup>121</sup>.

ونستشف مما سبق أن النقد في العصر الجاهلي اتسم بالانطباعية، فالناقد يصدر حكمه دون تحليل، وحتى وإن وجدنا نقدا معللا فإنه لا ينسحب على كل القصيدة، بل يقتصر على أبيات قليلة جدا، كما أن هذا النقد يفتقر إلى العمق، والقدرة على التحليل والموازنة.

أما في صدر الإسلام فإن النقد الأدبي ظل مستمرا في عهد البعثة الإسلامية، ولكن حركته لم تكن نشطة رغم تأثرها بالمثل والقيم الجديدة، وخير من اتجه بالنقد الأدبي وجهة جديدة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ إذ كان يتذوق الكلام الجيد ويخوض في الشعر مع الوافدين<sup>122</sup>، ومن ذلك إعجابه بشعر النابغة الجعدي فقال له "لا فض الله فاك"<sup>123</sup>، وبلغ من استحسانه لـ"بانة سعاد" أن صفح عن كعب بن زهير وأعطاه برده، وتأثر تأثرا رقيقا لشعر قتيلة بنت النضر، كما أنه استحسن قول طرفة بن العبد:

سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا      وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودْ

فقال: هذا من كلام النبوة.<sup>124</sup> وغيرها من الوقفات النقدية للرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن على الرغم من ذلك بقي النقد نقدا فطريا ذاتيا مجردا من التحليل، وكذلك النقد في عصر الخلفاء لا يختلف كثيرا عما كان

<sup>118</sup> - ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج 1، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، دط، ص 218-219

<sup>119</sup> - مصطفى عبد الرحيم إبراهيم، في النقد الأدبي عند العرب، مكة للطباعة، دط، 1998، ص 40.

<sup>120</sup> - المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

<sup>121</sup> - ينظر، رفعت التهامي عبد البر، النقد الأدبي العربي القديم: تطوره وقضاياها، دار النشر الدولي، الرياض ط 1، 1429هـ، ص 41.

<sup>122</sup> - ينظر، خالد يوسف، في النقد الأدبي، ص 54.

<sup>123</sup> - ينظر، القرشي (أبوزيد محمد بن أبي الخطاب)، جمهرة أشعار العرب، حققه محمد علي البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر

والتوزيع، دط، ص 38

<sup>124</sup> - ينظر، قدامه بن جعفر، نقد الشعر، مقدمة، 23.



عليه النقد في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والعصر الجاهلي باستثناء بعض المحاولات التي تجلت عند "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه فأحكامه تراوحت بين المعلل وغير المعلل.<sup>125</sup> وعليه فالنقد في صدر الإسلام لا يختلف كثيرا عن النقد في العصر الجاهلي، فهو لا يزال فطريا يعتمد على الذوق والشعور.

أما العصر الأموي فقد تعددت بيئات النقد فيه؛ إذ نجد الحجاز والشام، والعراق، وصور النقد في بيئة الحجاز تعود بنا إلى العصر الجاهلي بأحكامها غير المعللة كالحكم لشاعر بأنه أشعر الناس أو أشعر أهل الإسلام أو أشعر أهل جلدته، ومن ذلك ما يروى عن "جرير" فقد أنشده (نصيب) شيئا من شعره وطلب رأيه فيه فقال "جرير" أنت أشعر أهل جلدتك<sup>126</sup>.

أما النقد في بيئة العراق فقد تجلّى في المفاضلة أو الموازنة بين الشعراء بصورة عامة وبين الثلاثي (جرير، والفرزدق، والأخطل) بصورة عامة، وفي ذلك حكومات كثيرة أصدرت أحكاما مختلفة منها المعلل ومنها غير المعلل، وهو قائم على ذوق فطري لم يتأثر بالعلم، صدر عن سليقة وطبع، ولكن في آخر العصر الأموي ظهر لون آخر من النقد الأدبي، نقد موضوعي مبني على قواعد وأصول مقررة في اللغة والنحو.

وكذلك النقد في بيئة الشام على اختلاف صوره، نقد فطري يعود في أصوله إلى ذوق عربي خالص يبعد كل البعد عن النقد العلمي الذي لاحت بواده في بيئة العراق على أيدي النحويين واللغويين.<sup>127</sup> وبذلك "لم يقف النقد التأثري الفطري المبني على الذوق السليم والعرف العربي العام عند حدود العصر الجاهلي، ولكنه تجاوزه إلى ما بعده من العصور، وإن كنا نراه قُبيل نهاية العصر الأموي وفي أوائل القرن الثاني الهجري يتجه بعض الاتجاه إلى الناحية العلمية على أيدي اللغويين والنحاة"<sup>128</sup>.

أما في العصر العباسي فقد تطور النقد وظهر المسلك العلمي؛ إذ تجاوز النقاد حدود التذوق إلى التعليل والتفسير،<sup>129</sup> كما حددوا بعض الحدود التي تحكم الجانب التأثري الانطباعي منها: الدربة والممارسة وكثرة المطالعة والانقطاع للعلم والمعرفة كما أضافوا المتعة الفنية؛ فهذه الحدود وحدها القادرة على ضبط هذا النوع من النقد وتجعل الذوق سليما قادرا تبيان النواحي الجمالية التي يتضمنها النص الإبداعي.

<sup>125</sup>- عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 99.

<sup>126</sup>- ينظر، خالد يوسف، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، ص 70.

<sup>127</sup>- ينظر، المرجع نفسه، 86.

<sup>128</sup>- عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 268.

<sup>129</sup>- ينظر، خالد يوسف، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، ص 99.

## المصادر والمراجع المعتمدة:

- 1- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب: نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الثقافة، بيروت-لبنان، ط4، 1983.
- خالد يوسف، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1987.
- 2- ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر ونقده، قدم له وشرحه صلاح الدين الهواري، وهدي عودة، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، دط، 2002،
- 3- رفعت التهامي عبد البر، النقد الأدبي العربي القديم: تطوره وقضاياه، دار النشر الدولي، الرياض ط1، 1429هـ، ص 41.
- 4- عروة عمر، دروس في النقد الأدبي: أشكاله وصوره ومناهجه، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2010.
- 5- عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1982م.
- 6- القرشي (أبوزيد محمد بن أبي الخطاب)، جمهرة أشعار العرب، حققه محمد علي البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت.
- 7- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، دط، دت. قدامه بن جعفر، نقد الشعر، مقدمة.
- 8- المرزباني: الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، تح محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995.
- 9- مصطفى عبد الرحيم إبراهيم، في النقد الأدبي عند العرب، مكة للطباعة، دط، 1998.

## المحاضرة الرابعة: مفهوم الشعر عند نقاد المشرق والمغرب والأندلس.

### توطئة:

يعد مفهوم الشعر من أهم القضايا النقدية التي طرحها النقاد القدماء، وقد اختلفوا في طبيعة النظر إلى هذا الفن، فكل ناقد طرح التصورات والنظرات التي تتصل اتصالاً وثيقاً بتحديد مفهومه وفقاً لتصوره، وأبعاد تجربته. فما هو مفهوم الشعر عند نقاد المشرق والمغرب والأندلس؟

1- مفهوم الشعر لغة: ورد في "لسان العرب" لابن منظور (ت 711هـ) أن «الشعر منظوم القول غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية، وإن كان كل علم شِعْراً من حيث غلب الفقه على علم الشرع والعود على المُنْدَلِ والنجم على الثريا ومثل ذلك كثير وقال الأزهري: الشعر القَرِيضُ المحدود بعلامات لا يجاوزها والجمع أشعار، وقائله شاعر لأنه يشعر بما لا يشعر غيره أي يعلم».<sup>130</sup> أما الزبيدي فقد أضاف على قول ابن منظور قوله: «وعلل صاحب المفردات غلبته على المنظوم بكونه مشتملاً على دقائق العرب وخفايا أسرارها ولطائفها قال شيخنا: وهذا القول هو الذي مال إليه أكثر أهل الأدب لرقيه وكمال مناسبتة».<sup>131</sup> ونعاين من هذه النصوص أنها أكدت على سمة (النظم) وجعلتها خاصة بالشعر دون النثر، وبها يتميز الشاعر.

2- مفهوم الشعر عند النقاد المشاركة: لم يُعرف شيء مهم عن مفهوم العرب الجاهليين لهذا المصطلح. أما في صدر في الإسلام نجد بعض التعريف التي نسبت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته من ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منها فهو حسن، وما لم يوافق الحق فلا خير فيه»<sup>132</sup> وقوله أيضاً: «إنما الشعر كلام فمن الكلام خبيث وطيب»<sup>133</sup>، ونعاين من كلامه أنه يركز على خاصية التأليف، كما حدد الميزان

<sup>130</sup> - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج 4، ص 410. (مادة شعر)

<sup>131</sup> - محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 12، تحقيق مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت 1973م، ص 178. مادة (شعر).

<sup>132</sup> - مصطفى الجوزو، نظريات الشعر عند العرب: (الجاهلية والعصور الإسلامية)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1988م، ص 194.

<sup>133</sup> - منير سلطان، "ابن سلام وطبقات الشعراء"، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1977م، ص 21.

الذي يوزن به الشعر، ويتمثل في مدى مطابقته للحق، أو عدم مطابقته. كما عرفه الخليفة "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه بقوله: «الشعر جزل من كلام العرب يسكن به الغيظ وتطفأ الثائرة، ويبلغ به القوم في ناديمهم، ويعطي به السائل».<sup>134</sup> نستشف من هذا التعريف أن الخليفة يقر بمبدأ الجزالة في الشعر؛ أي أن تكون الألفاظ، والمعاني مناسبة للموضوع. وتعكس القوة الشعرية.

1.2- ابن سلام الجمحي (ت 231هـ): عرفه بقوله: «صناعة وثقافة... ليس لجودته صفة، وإنما هو شيء يقع في النفس عند المميز ويعرفه الناقد عند المعايينة».<sup>135</sup> ويقصد بملفوظ (صناعة) حسن البناء، وتتم هذه الصناعة بالمزج بين المادة والشكل من طرف الصانع (الشاعر) وأضاف أيضا عنصر الثقافة؛ أي الإلمام بالمعارف بمختلف أنواعها؛ أي في كل المجالات.

2.1- الجاحظ (ت 255هـ): تجلّى مفهوم الجاحظ للشاعر في سياق تعليقه على إعجاب أبي عمرو الشيباني (ت 206هـ) بيتين من الشعر وهما:

لا تحسبن الموت موتَ البلى \*\* فإنما الموت سؤال الرجال

كلاهما موت ولكن ذا \*\* أفضح من ذاك لذل السؤال

وقد علق عليه قائلا: «المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي؛ وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك؛ فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير».<sup>136</sup> ونعائين من هذا النص أن الجاحظ العناصر الأساسية لصياغة الخطاب الشعري وهي: الوزن، اللفظ، سهولة المخرج وكثرة الماء وصحة الطبع وجودة السبك، فهي مكونات أساسية بإمكانها إضفاء طابع الشعرية على الخطاب الشعري، وبذلك فالجاحظ حدد العناصر الأساسية للشعر إلا أن هناك من اتهمه بالتحيز إلى الشكل على حساب المضمون، ومن هؤلاء إحسان عباس<sup>137</sup>، ومحي الدين صبحي<sup>138</sup>.

<sup>134</sup> - مصطفى الجوزو، "نظريات الشعر عند العرب"، ص 194.

<sup>135</sup> - قاسم مومني، "نقد الشعر في القرن الرابع الهجري"، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1982م ص 184.

<sup>136</sup> - الجاحظ، "الحيوان"، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ج3، ص 131، 132.

<sup>137</sup> - إحسان عباس، "تاريخ النقد الأدبي عند العرب"، ص 98.

<sup>138</sup> - محي الدين صبحي، "نظرية النقد العربي وتطورها إلى عصرنا"، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، 1984م،

2.2- ابن طباطبا العلوي (322 هـ): عرف الشعر بقوله: «كلام منظوم، بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم، بما خُص به من النظم الذي إنْ عُدِلَ عن جهته مجته الأسماع، وفسد على الذوق، ونَظْمُهُ معلوم محدود فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن من تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والجدق به، حتى تعتبر معرفته الاستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه»<sup>139</sup>. من خلال هذا النص النقدي نعاين أن الناقد حدد لنا أهم العناصر التي تسهم في نظم الشعر وأهمها: الوزن، الطبع، صحة الذوق، العروض للفرد غير مطبوع.

3.2- قدامة بن جعفر (327 هـ): وقد عرفه في كتابه "نقد الشعر" بقوله: «إنه قول موزون ومقضى يدل على معنى: فقولنا: "قول" دال على أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر، وقلنا "موزون" يفصله مما ليس بموزون إذ كان من القول موزون وغير موزون، وقولنا "مقضى" فصل بين ما له من الكلام الموزون قواف وبين ما لا قوافي له ولا مقاطع، وقولنا "يدل على معنى" يفصل ما جرى من القول على قافية ووزن مع دلالة على معنى مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى؛ فإنه لو أراد مريد أن يعمل من ذلك شيئاً على هذه الجهة لأمكنه وما تعذر عليه»<sup>140</sup>. نعاين من هذا التعريف أن قدامة قد حصر عناصر الخطاب الشعري في أربعة أمور: اللفظ/المعنى/الوزن/القافية؛ وأما المعنى فيقصد به المعاني التي يدل عليها الشعر، وهي المديح والهجاء والمراثي والتشبيه والوصف والغزل.<sup>141</sup> وهذا الطرح الذي جاء به قدامة يعد جديداً وذلك بسبب تأثره بالمنطق اليوناني، وهذا ما أقر به مصطفى الجوزو بقوله: «قدامة قد تأثر بالمنطق اليوناني تأثراً واضحاً وذلك إذ جعل القول أو اللفظ جنساً للشعر، والوزن والقافية والمعنى فصولاً تحوزوه عن غير الموزون، وغير المقضى والعارى من المعنى».<sup>142</sup> ويعد تعريف قدامة بن جعفر من أوضح التعريفات في تلك الحقبة، وقد استفاد منه النقاد بعد ذلك.

ص34.

<sup>139</sup> - ابن طباطبا، " عيار الشعر" ط1، تحقيق عباس عبد الستار، مراجعة نعيم زوزو، دار الكتساب العلمية بيروت، لبنان، 1982، ص 9.

<sup>140</sup> - قدامة بن جعفر، " نقد الشعر "، تحقيق عبد المنعم خفاجي، دار الكتساب العلمية، بيروت - لبنان ص 64.

141 - ينظر، مصطفى الجوزو، " نظريات الشعر عند العرب "، ص 198.

142 - المرجع نفسه، ص 198.

4.2- الفارابي (257هـ - 339هـ): أدخل الفارابي مفهوم المحاكاة في تحديد طبيعة القول الشعر فانتقل في تعريفه للشعر من حيز الوزن والقافية إلى تعريفه بجوهره الذي هو (المحاكاة)، وقد عرفه بقوله: «فقوام الشعر وجوهره عند القدماء هو أن يكون قولاً مؤلفاً مما يحاكي الأمر، وأن يكون مقسوماً بأجزاء ينطق بها في أزمنة متساوية ثم سائر ما فيه فليس بضروري في قوام جوهره وإنما هي أشياء يصير بها الشعر أفضل، وأعظم هذين في قوام الشعر هو المحاكاة، وعلم الأشياء التي بها المحاكاة وأصغرهما الوزن».<sup>143</sup> فجوهر الشعر عنده هو المحاكاة، وأما الوزن فهو أصغر شيء فيه، ولم يذكر في تعريفه التقفية.

5.2- ابن سينا (370هـ - 428هـ): عرفه بقوله: «الشعر كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة متساوية، وعند العرب مقفاة».<sup>144</sup> وقد شرح ابن سينا تعريفه بقوله: «ومعنى موزونة أن يكون لها عدد إيقاعي، ومعنى كونها متساوية هو أن يكون كل قول منها مؤلفاً من أقوال إيقاعية فإن عدد زمانه مساو لعدد زمان الآخر، ومعنى كونها مقفاة هو أن يكون الحرف التي يختتم به كل قول منها واحداً».<sup>145</sup>

وبموجب هذا النص فالشعر عند ابن سينا كلام مخيل، وموزون، ونعائين من النص أيضاً أنه ذكر مصطلح القافية، لأنها سمة خاصة بالشعر العربي دون غيره. أما مصطلح التخيل فيحدث تأثيراً في نفس المتلقي، وما ينتج عنه؛ إذ تتحدد طبيعة التخيل الشعري بأنه انفعال «تنبسط فيه النفس، أو تنقبض عن أمور من غير روية، وفكر، واختيار»<sup>146</sup>، وبذلك فابن سينا يؤسس الشعر على التخيل، والوزن، والقافية الخاصة بشعر العرب كاستثناء، وبموجب ما سبق نجد أن نقاد المشرق قد اختلفوا في قضية تحديد مفهوم للشعر، وهذا راجع إلى اختلاف الزاوية التي انطلق منها كل واحد منهم، وكذا طبيعة المرجعيات المعرفية.

<sup>143</sup> - الفارابي، "كتاب الشعر"، تحقيق محسن مهدي، مجلة شعر، ع12 بيروت، 1959م، ص 92.

<sup>144</sup> - ابن سينا، "كتاب الشفا" ضمن: "فن الشعر"، تحقيق عبد الرحمان بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دط،

1953م، ص 161.

<sup>145</sup> - المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

<sup>146</sup> - المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

### 3- مفهوم الشعر عند نقاد المغرب والأندلس:

3.1- عبد الكريم النهشلي: ويمكن استخلاص مفهومه للشعر من خلال كتابه "الممتع في علم الشعر وعمله" إذ يقول: «ليت شعري؛ أي ليت فطنتي».<sup>147</sup> ذكر النهشلي في تعريفه للشعر مصطلح "الفطنة"، وهو يشير حسب تصور "بشير خلدون" إلى الوحي والإلهام الذي هو مصدر الإبداع الفني الخالد، فالشعر عنده هو التعبير عن التجربة الشعرية أي الفطنة والشعور<sup>148</sup>. وبالتالي يركز على الوجدان والبواعث النفسية التي تهز كوامن الشاعر فيعمل على إخراج مكنوناته.

3.2- ابن رشيق المسيلي القيرواني: عرف ابن رشيق الشعر بقوله: «يقوم بعد النية من أربعة أشياء وهي اللفظ والوزن والمعنى والقافية هذا هو حد الشعر؛ لأن من الكلام موزونا ومقفى وليس بشعر؛ لعدم القصد والنية كأشياء اتزنت من القرآن ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم».<sup>149</sup> نعاين من خلال هذا التعريف أن الشعر عند ابن رشيق يتأسس على أربعة أشياء، وهي اللفظ والوزن والقافية والمعنى؛ ولكنه أضاف النية والقصد كشرط لتمييز الشعر عن النثر، فهو أراد أن يميز بين الكلام الموزون المقفى بنية وقصد، والكلام الموزون والمقفى، ولكن دون نية وقصد، وكأنه يركز على طبيعة الإحساس الذي سينقله الشاعر، لذلك أقر أن «الشعر ما أطرب، وهز النفوس وحرك الطباع فهذا هو باب الشعر الذي وضع له وبني عليه لا ما سواه».<sup>150</sup>

3.3- ابن البناء المراكشي (721هـ): وقد ركز "ابن البناء المراكشي" على محور المحاكاة والتخييل بوصفهما مقومين جوهريين في بناء القول الشعري، حيث عرفه بقوله «هو الخطاب بأقوال كاذبة مخيلة على سبيل المحاكاة، يحصل عنها استفزاز بالتوهّمات»<sup>151</sup>، وبذلك تعد المحاكاة مقوما جوهريا في تحديد ماهية

147 - عبد الكريم النهشلي، اختيار الممتع وعمله في علم الشعر، تحقيق محود شاكر القطان، الهيئة العامة المصرية، القاهرة، ط2/ 2006، ص 35.

148 - ينظر، بشير خلدون، " الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي"، الشركة الوطنية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص 58.

149 - ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ج1، ص 119.

150 - المصدر نفسه، ص 128.

151 - ابن البناء المراكشي العددي، الروض المربع في صناعة البديع، تح: رضوان بنشقرون، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، دط،

الشعر، وأساس المحاكاة في الشعر هو التشبيه حسب تصوره حيث يقول «وكل ما في التشبيه من كذب أو غلو فلا يكون في الحكمة ويكون في الشعر؛ لأنه مبني على المحاكاة والتَّخِيل لا على الحقائق...»<sup>152</sup> وقد جعل المحاكاة مرادفاً للتشبيه، ويتجلى ذلك في حديثه عن الفرق بين المحاكاة والاختراع، وبينه من خلال تعليقه على قول الوأواء الدمشقي<sup>153</sup>:

«وَأَمْطَرْتُ لَوْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَّتْ وَرَدًا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبُرْدِ

ف قيل: الصواب لو قال:

فَأَمْطَرْتُ لَوْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَّتْ وَرَدًا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبُرْدِ

من حيث إ مطار اللؤلؤ غير مشاهد ولا معروف (فهو) قد حاكى الدمع في انسكابه على خدها بشيء غير وجود ولا معلوم إلا من عنده اخترعه من نفسه»<sup>154</sup>، وعليه فالتشبيه هو الخلفية النظرية التي تتحرك في إطارها عملية المحاكاة نظرا لما يتضمنه من كذب وغلو، وبذلك فهو يسعى إلى الإيهام بحقيقة ما يصوره، وهذا ما جعله يختص بالشعر، ولا يكون في الحكمة التي تقوم على الصدق والإقناع<sup>155</sup> وعليه فالتشبيه عند ابن البناء تقانة تسهم في تحقيق عنصر التصوير، الذي لا يقود إلى الجمود الشكلي، ولا يقضي أيضا على سعة الخيال<sup>156</sup> الذي يعد آلية أساسية في تدفق الصور لدى الشاعر وفقا لتجربته وتصوره، إلا أن الشاعر إذا تجاوز الواقع حسب ابن البناء وحاكى وتخيل في الشيء ما ليس فيه، فذلك يعد اختراعا، وبخاصة أن هناك من يرى «أن الشعر موضع الكذب والإيغال في المجال فيجوز ذلك فيه...»<sup>157</sup>، وبذلك فالتخييل والمحاكاة مقومات أساسية لبناء الخطاب الشعري عند ابن البناء.

4.3- السجل ماسي: يعرف الشعر بقوله: "هو القول المخيل المؤلف من أقوال متساوية وعند العرب مقفاة فمعنى كونها موزونة: أن يكون لها عدد إيقاعي، ومعنى كونها متساوية هو أن يكون

1985م، ص 81

<sup>152</sup> - ابن البناء المراكشي العددي، الروض المربع في صناعة البديع، 103.

<sup>153</sup> - الوأواء الدمشقي، الديوان، عني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه سامي الدهان، دار صادر بيروت، ط2، 1993م، ص 84.

<sup>154</sup> - ابن البناء المراكشي العددي، الروض المربع في صناعة البديع، ص 101.

<sup>155</sup> - بديعة الخرازي، مفهوم الشعر عند نقاد المغرب والأندلس في القرنين السابع والثامن الهجريين: دراسة نقدية وتحليلية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 2005م، ص 54.

<sup>156</sup> - ينظر، عصام قصبجي، نظرية المحاكاة في النقد العربي القديم، دار القلم العربي، ط1، 1980م، ص 88.

<sup>157</sup> - ابن البناء المراكشي العددي، الروض المربع في صناعة البديع، ص 104.



كل قول منها مؤلفا من أقوال إيقاعية، فإن عدد زمانه مساو لعدد زمان الآخر، ومعنى كونها مقفاة هو: أن تكون الحروف التي يختتم بها كل قول منها واحدة. وكل معنى من هذه المعاني فله صناعة تنظر فيه إما بالتجزئة وإما بالكلية؛ ولأن التخيل هو جوهريته والمشارك للجميع ينبغي أن يكون موضوعها ومحل نظرها. ولما كان ذلك كذلك وجب في علم البيان من قبل عموم نظره للخطابة والشعر (إذ كان نظره في العبارة البلاغية إعطاء القوانين العامة للخطابة والشعر) من حيث العبارة البلاغية فقط، ألا يلتفت فيه إلى ما يخص صناعة منهما إلا بعد القول يعم منهما أكثر من صنف واحد؛ إذ كان ذلك هو التعليم المنتظم. لكن السبب في ذكر أصحاب علم البيان ومتأدبي العرب هذا الجنس مختلطا هو أنهم لم يكونوا تميزت لهم الأقاويل الشعرية من الأقاويل الخطبية فلم يتبين لهم ما يخص صناعة منهما بل كانت مختلطة عندهم<sup>158</sup> نستشف من هذا التعريف أن المحاكاة والتخيل آليات أساسية في صناعة الخطاب الشعري. كما أشار إلى بعض الأنماط اللغوية التي تدخل في باب البيان، وتسهم في تحقيق عملية المحاكاة وهي: التشبيه والاستعارة والتمثيل والمجاز؛ إذ يقول: "فالقول المخيل هو محمول يشابه به شيء شيئا في جوهره المشترك لهما، ومقول بتواطئ على أربعة أنواع الأول: التشبيه، الثاني: الاستعارة، الثالث: التمثيل، الرابع: المجاز"<sup>159</sup>. وبذلك فقد أثبت السجلماسي شعرية التشبيه والاستعارة والتمثيل والمجاز، وذلك برصد طبيعتها التخيلية وقدرتها على المحاكاة<sup>160</sup>. وبذلك تبقى المحاكاة والتخيل تقانات أساسية في بناء الخطاب الشعري.

5.3- ابن حزم (456هـ): تحدث عن الشعر في رسالة "التقريب لحدود المنطق" حاول أن يؤكد على أبرز خاصية فيه بقوله: "هذه صناعة قال فيها بعض الحكماء: كل شيء يزينه الصدق إلا الساعي والشاعر... فالصناعة هي التأليف الجامع للاستعارة والإشارة والتحليق على المعاني والكنائية عنها"<sup>161</sup>. وبذلك فصناعة القول الشعري لا بد أن يراعي فيه الشاعر حسن التصوير، والتمثيل، والتحليق على المعاني، والكنائية عنها فهذا يحقق حسن التأليف حسب

<sup>158</sup> - السجلماسي (أبو محمد القاسم)، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط1، 1980، ص 218-219.

<sup>159</sup> - السجلماسي (أبو محمد القاسم)، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، ص 220.

<sup>160</sup> - ينظر، بديعة الخرازي، مفهوم الشعر عند نقاد المغرب والأندلس في القرنين السابع والثامن الهجريين، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 2005، ص 56.

<sup>161</sup> - رسائل ابن حزم، ج4، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط1 1983 م، ص 354-355.

6.3- ابن السيد البطلبيوسي (ت 521هـ): عد الشعر صناعة بقوله: «صنعة الشعر مبنية على المحاكاة والتخييل وموضوعة للتشبيه، والتمثيل»<sup>162</sup>. نعاين من هذا النص أن الناقد نعت الشعر بمصطلح "صناعة"، ولكنه أضاف مصطلح "المحاكاة" باعتبارها مقوما أساسيا في تشكيل الخطاب الشعري و"التخييل" أيضا عنده يعد مقوما من مقومات تحديد ماهية الشعر؛ فهو الجسر الرابط بين النص الشعري والمتلقي.

7.3- ابن خفاجة: عرف الشعر بقوله: «والشعر يأتلف من معنى ولفظ وعروض وحرف روي»<sup>163</sup>، حدد ابن خفاجة أهم المقومات التي يتألف منها القول الشعري، كما ذكر في مكان آخر من خطبة ديوانه أن القصد في الشعر التخييل وليس القصد فيه الصدق ولا يعاب فيه الكذب.<sup>164</sup>

وتأسيسا على ما سبق يمكن القول إن حد الشعر عند النقاد القدماء هو المحاكاة والتخييل والتخييل والقول الموزون، وبذلك قد حددوا المكونات والعناصر الأساسية الثابتة في مجموع نصوص التراث الشعري؛ لأنها تنزل بمثابة قوانين ضمنية فاعلة في خلق القول الشعري، كما أنها تحدد أيضا التمايز بين الخطاب الشعري والخطاب النثري.<sup>165</sup>

8.3- حازم القرطاجني (684هـ): يعرف الشعر بقوله: "كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحببه إليها، ويكره إليها ما قصد تكرهه لتحمل بذلك على طلبه، أو الهرب منه بما يتضمن من حسن تخييل له ومحاكاة مستقلة بنفسها، أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام، أو قوة صدقه، أو قوة شهرته أو بمجموع ذلك"<sup>166</sup>. ونعاين من خلال التعريف ما يأتي:<sup>167</sup>

- التركيز على محور المحاكاة بوصفها مقوما أساسيا من مقومات تشكيل القول الشعري،

<sup>162</sup> - ابن السيد البطلبيوسي، "شرح المختار من لزوميات أبي العلاء" ق1، تحقيق حامد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة مزيدة ومنقحة، 1991م، ص 106.

<sup>163</sup> - ابن خفاجة، الديوان، تحقيق سيد غازي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط2، دت، ص 9.

<sup>164</sup> - ينظر، ابن خفاجة، الديوان، ص 11.

<sup>165</sup> - ينظر، بديعة الخرازي، مفهوم الشعر عند نقاد المغرب والأندلس في القرنين السابع والثامن الهجريين، ص 173

<sup>166</sup> - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط3، 1986. ص71.

<sup>167</sup> - ينظر، المرجع نفسه، ص 49.

ومصطلح المحاكاة هنا يجسد إنتاج الفعل الذي يتحقق من خلال علاقة الشاعر المبدع بالعالم، وهي علاقة تعمل على ترسيخ فكرة تصوير هذا العالم الذي لا يملك الشاعر اتجاهه سوى نقله ومحاكاته.

كما أضاف حازم عنصرا أساسيا، وأقر بضرورة التكامل بينه وبين المحاكاة، ويتضح ذلك من قوله: "كلام موزون مختص في لسان العرب بزيادة التقفية إلى ذلك والتثامه من مقدمات مخيلة صادقة أو كاذبة لا يشترط فيها بما هي شعر غير التخيل"<sup>168</sup>. وبذلك فالتخيل آلية جوهرية في القول الشعري، إذ تمنح الشاعر القدرة على ابتكار الصور الشعرية وهندستها بشكل رائع يمنحها الجمالية المناسبة.

وأخيرا يمكن القول إن النقاد القدماء انطلقوا من تراث شعري واحد، ولكنهم اختلفوا في تحديد مفهوم الشعر، وذلك يعود إلى المرجعيات الفكرية الخاصة بكل ناقد، فالنقاد الذين احتكوا بالثقافة الأجنبية وبخاصة اليونانية أضافوا إلى مفهوم الشعر قضية المحاكاة والتخيل.

#### - المصادر والمراجع المعتمدة:

- 1- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت-لبنان، ط4، 1983.
- 2- بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، الشركة الوطنية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
- 3- بديعة الخرازي، مفهوم الشعر عند نقاد المغرب والأندلس في القرنين السابع والثامن الهجريين: دراسة نقدية وتحليلية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 2005م.
- 4- ابن البناء المراكشي العددي، الروض المربع في صناعة البديع، تح: رضوان بنشقرن، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، دط، 1985م.
- 5- الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ج3.
- 6- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط3، 1986.

<sup>168</sup> - المصدر نفسه، ص 89.

- 7- ابن حزم، الرسائل، ج4، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط1 1983م.
- 8- ابن خفاجة، الديوان، تحقيق سيد غازي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط2، دت.
- 9- السجلماسي (أبو محمد القاسم)، المنزح البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط1، 1980.
- 10- ابن السيد البطليوسي، "شرح المختار من لزوميات أبي العلاء" ق1، تحقيق حامد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة مزيدة ومنقحة، 1991م.
- 11- ابن سينا، كتاب الشفا ضمن: فن الشعر، تحقيق عبد الرحمان بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دط، 1953.
- 12- ابن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الستار، مراجعة نعيم زوزو، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1982.
- 13- عصام قصبجي، نظرية المحاكاة في النقد العربي القديم، دار القلم العربي، ط1، 1980.
- 14- الفارابي، كتاب الشعر، تحقيق محسن مهدي، مجلة شعر، ع12 بيروت، 1959.
- 15- قاسم مومني، نقد الشعر في القرن الرابع الهجري"، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1982م.
- 16- قدامه بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب العلمية، بيروت - لبنان.
- 17- محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج12، تحقيق مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت 1973م.
- 18- محي الدين صبحي، نظرية النقد العربي وتطورها إلى عصرنا"، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، 1984م.
- 19- مصطفى الجوزو، نظريات الشعر عند العرب: (الجاهلية والعصور الإسلامية)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1988م.
- 20- ابن منظور، "لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج4.

## المحاضرة الخامسة: قضية الانتحال وتأصيل الشعر

توطئة:

تنبه النقاد القدماء إلى فكرة الشعر المصنوع الذي ينسب إلى الجاهليين أو الإسلاميين، وبذلك طرحت قضية الانتحال في الشعر العربي القديم وبخاصة الجاهلي منه، فهو "...يثير معضلة تتجلى واضحة في تفاوت أساليب المقطوعات الشعرية والقصائد الجاهلية وتظهر أيضا في ترتيب الأبيات الشعرية واختلاف الروايات في مفرداتها وتراكيبها وصياغاتها وهذا من شأنه أن يثير الشك حول صحة الشعر من حيث نسبته إلى صاحبه أو إلى زمانه أو إلى مكانه"<sup>169</sup>، وكل هذا المعطيات أثارت الشك حول صحته، وبذلك استخدم مصطلح الانتحال للدلالة على الشك في صحة الشعر الجاهلي بخاصة، ولكن هناك من فضل استخدام مصطلح "النحل" ويحدده بأنه: "وضع قصيدة ما أو بيت من أبيات وإسناد ذلك لغير قائله"<sup>170</sup>، وهناك من أقر أن "معنى انتحله، وتتحله ادعاه لنفسه ولغيره ويقال نحل الشاعر قصيدته إذا نسبت إليه وهي لغيره"<sup>171</sup>.

وهناك من حاول أن يحدد الفرق بين الانتحال، والوضع والنحل، فالوضع هو أن ينظم الرجل الشعر ثم ينسبه إلى غيره، والانتحال هو ادعاء شعر الغير، والنحل أن ينسب الرجل شعر شاعر إلى شاعر آخر<sup>172</sup>. ولكن يمكن القول إن مصطلح الانتحال يشمل الوضع والنحل معا.

ويُعدّ "ابن سلام الجمعي" (232هـ) أول من أشار إلى قضية الانتحال في الشعر الجاهلي في كتابه: "طبقات فحول الشعراء"، ولكن على الرغم من ذلك يمكن الإشارة إلى أن "ابن سلام" لم يكن "أول من فطن إلى هذه القضية؛ أي فكرة الشعر المصنوع الذي ينسب للجاهليين أو الإسلاميين وليس لهما؛ لأن بعض معاصريه من أمثال: خلف الأحمر 180هـ والمفضل الضبي قد سبقوه إليها. غير أنه أشدهم اهتماما بها وتوسع في شرح جوانب النظرية التي أقامها في هذا الموضوع من أجل تبين الملابسات التاريخية التي اتصلت به"<sup>173</sup>.

وقد قال في مقدمة كتابه "طبقات فحول الشعراء": "وفي الشعر مصنوعٌ مُفْتَعَلٌ موضوع كثير لا خير فيه،

<sup>169</sup>-ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار المعارف، مصر، 1982 ص 287-288.

<sup>170</sup>-محمد عثمان علي، في أدب ما قبل الإسلام، دار الأوزاعي، بيروت، دط، 1986، ص 75.

<sup>171</sup>-جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج9، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، 1997، ص 335..

<sup>172</sup>-ينظر، عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، الصدر لخدمات الطباعة، القاهرة، ط2، دت، ص 89.

<sup>173</sup>-قصي الحسين، النقد الأدبي عند العرب واليونان: معاملة وأعلامه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس-لبنان، 1، 2003، ص 300.

ولا حُجَّةَ في عَرَبِيَّةٍ، ولا أدبٌ يُستفاد، ولا معنىٌ يُستخرج، ولا مَثَلٌ يُضرب، ولا مديحٌ رائع، ولا هجاءٌ مُقدِّعٌ، ولا فخرٌ مُعجِب، ولا نسيبٌ مُستطَرَف، وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب لم يأخذه عن أهل بادية ولم يعرضوه على العلماء...<sup>174</sup>. وهنا يأتي دور الناقد البصير الذي يملك القدرة على فرز الأصيل من الدخيل في هذا الميدان، ومتى تحقق وجود الناقد البصير سهل بعدئذ التوصل إلى الصواب<sup>175</sup>، إذ يقول ابن سلام: "أخبرني أبو عبيدة أن داود بن متمام بن نويرة قدم البصرة في بعض ما يقدّم له البدوي... فأتيته أنا وابن نوح العطاردي فسألناه عن شعر أبيه متمام وقمنا له بحاجته وكفيناه ضيعته، ولما نفذ شعر أبيه جعل يزيد في الأشعار ويصنعها، وإذا كلام دون كلام متمام... فلما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله"<sup>176</sup>. وبذلك فأبو عبيدة بوصفه ناقدا بصيرا استطاع أن يكتشف التفاوت بين شعر "متمام" وشعر ابنه.

#### \* موقفه من حماد الراوية:

أقرّ "ابن سلام" أن حماد الراوية أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها وكان غير موثوق به، وكان ينحل شعر الرجل غيره ويزيد في الأشعار<sup>177</sup>. وقد ذكر قول يونس بن حبيب في حماد؛ إذ يتهمه بالكذب بقوله: "العجب لمن يأخذ عن حماد، وكان يكذب ويلحن ويكسر"<sup>178</sup>. و"المفضل الضبي" بدوره يرى أن حماد الراوية أفسد الشعر؛ إذ يقول: "قد سُلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبدا. فقليل له: وكيف ذلك؟ أيخطئ في روايته أم يلحن؟ قال: ليته كان كذلك، فإن أهل العلم يردّون من أخطأ إلى الصواب، لا ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يُشبهه به مذهب رجل ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق فتخلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد وأين ذلك!"<sup>179</sup>. كما قيل أيضا أن أمير المؤمنين المهدي أبطل روايته؛ أي حماد، وذلك لزيادته في أشعار الناس ما ليس فيها، وأكد على صحة رواية "المفضل"، وقد قال: "من أراد أن يسمع شعرا جيدا محدثا فليسمع من حماد، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذ عن المفضل"<sup>180</sup>. أما خلف الأحمر الراوية فكان يقول: "كنت أخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب وأعطيه المنحول فيقبل

<sup>174</sup>- ابن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء، مج 1، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع، القاهرة، دت،

دط، ص 4.

<sup>175</sup>- ينظر، إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 78.

<sup>176</sup>- ابن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء، مج 1، ص 48.

<sup>177</sup>- ينظر، المصدر نفسه والصفحة نفسها.

<sup>178</sup>- م ن، ص 49.

<sup>179</sup>- الأصفهاني (أبو الفرج)، الأغاني، ج 6، دار الكتب المصرية، القاهرة، دط، 1935، ص 90

<sup>180</sup>- المصدر نفسه، ص 89.

ذلك مني ويدخله في أشعارها وكان فيه حمق"<sup>181</sup>. تعد هذه من أبرز الشهادات السلبية في حق حماد الراوية.

-موقف ابن سلام من ابن إسحاق صاحب السيرة:

انتقد ابن سلام محمد بن إسحاق صاحب السيرة النبوية فقال عنه: "وكان ممن أفسد الشعر وهجنته وحل كل غثاء منه محمد بن إسحاق بن يسار... فكتب في السيرة أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال، ثم جاوز ذلك إلى عادٍ وثمود، فكتب لهم أشعاراً كثيرة، وليس بشعر، إنما هو كلامٌ مؤلفٌ معقودٌ بقوافٍ"<sup>182</sup>. فابن سلام لم يتهم إسحاق بإفساد الشعر، بل نفى كل الشعر الذي ذكره في سيرته وتوضح ذلك مما يأتي:

-يتساءل ابن سلام إسحاق بقوله: "أفلا يرجع إلى نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر ومن أداه منذ آلاف السنين والله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَقَطَّعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ (سورة الأنعام:45)؛ أي لا بقية لهم. وقال أيضاً: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ \* وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ﴾ (النجم: 50- 51)، وقال في عاد: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾ (الحاقة: 8)"<sup>183</sup>. فهذه الأقوام قطع دابرها وأهلكت وبالتالي من حمل هذا الشعر بعدها.

-نقل ابن سلام عن "يونس بن حبيب": "أن أول من تكلم بالعربية ونسي لسان أبيه هو إسماعيل بن إبراهيم"<sup>184</sup> وإسماعيل كان بعد عاد، وبذلك فإن اللغة العربية لم تكن موجودة في عهد عاد، وبذلك لا يمكن القبول بشعر في لغة لم تكن موجودة بعد.<sup>185</sup>

-ويقول ابن سلام أن عاداً من اليمن ولأهل اليمن لسان آخر غير اللسان العربي بدليل قول أبي عمرو بن العلاء: "العرب كلها ولد إسماعيل إلا حمير وبقايا جرهم"<sup>186</sup> وقوله أيضاً: "ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا"<sup>187</sup>.

-رجوع ابن سلام إلى تاريخ نشأة الشعر العربي فوجد أن الرجل كان يقول بيتاً أو بيتين في مناسبة ما وطولت القصائد، فما بعد وهو نسبها إلى المهلهل بين ربيعة التغلبي الذي كان أول من قصد القصائد. أما امرؤ القيس فكان بعد المهلهل وطرفة وعمرو بن قميئة والمتلمس في عصر واحد.<sup>188</sup> وإذا كان هؤلاء الشعراء هم الذين

<sup>181</sup> - الأصفهاني (أبو الفرج)، الأغاني، ص 92.

<sup>182</sup> - ابن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء، مج 1، ص 7-8.

<sup>183</sup> - المصدر نفسه، ص 8

<sup>184</sup> - م ن، ص 9.

<sup>185</sup> - ينظر، قصي الحسين، النقد الأدبي عند العرب واليونان: معالمة وأعلامه، ص 302.

<sup>186</sup> - ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص 9.

<sup>187</sup> - المصدر نفسه، مج 1، ص 10.

<sup>188</sup> - ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، مج 1، ص 39، 41.

قصدا القصائد وأطالوها وعهدهم لا يبعد كثيرا عن الإسلام. فإن هذه الحقيقة التاريخية تنفي صحة كل قصيدة تنسب إلى عهد أقدم من عهدهم، وهذا بدوره ينفي الشعر الذي أورده ابن إسحاق في سيرته ونسبه إلى عاد وشمود وحمير وتبع.<sup>189</sup> وبواعث الانتحال حسب "ابن سلام" تنحصر في سببين:

**1- السبب الأول** يرجع تاريخيا إلى انتحال بعض الرواة للشعر وإدخاله في أشعار الجاهليين والمخضرمين أو نسبته إليهم كما فعل متمم بن نويرة الذي كان يفتعل ويزيد أشعار أبيه. وكما كان يفعل حماد الراوية الذي يحمل شعر الرجل غيره ويزيد في الأشعار وكان أول من جمع أشعار العرب وكان غير موثوق به.<sup>190</sup>

**2- السبب الثاني:** يتمثل في قلة أشعار بعض القبائل العربية بعد انتهاء عصر الفتوح إذ كانت هذه القبائل تحرص على ألا تكون أمجادها في الشعر أقل من أمجاد غيرها من القبائل فسعت إلى انتحال الأشعار التي تتحدث عن أمجادها.<sup>191</sup> إذ يقول ابن سلام: "فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقل بعض الشعراء شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم. وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسن شعرائهم".<sup>192</sup> كما أشار أيضا إلى زيادة الرواة في الأشعار بقوله: "...ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار التي قيلت، وليس يُشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا، ولا ما وضع المولدون، وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الإشكال"<sup>193</sup>. وهذا يعني أن الشعر لا بد أن يؤخذ عن أهل البادية، وتبقى مهمة التمييز بين الشعر الصحيح والموضوع من نصيب الناقد البصير؛ أي أن الشعر المتداول لا بد أن يعرض على العلماء؛ لأن هناك شعراء فحول حمل عليهم كثير من الشعر نحو طرفة بن العبد وعبيد بن الأبرص، وشك أيضا في شعر عدي بن زيد حمل عليه شيء كثير، وحسان بن ثابت حمل عليه ما لم يحمل على أحد حسب تصور ابن سلام.

عرض ابن سلام قضية الانتحال في مقدمة كتابه عرضا منهجيا معللا تعليلا علميا وتاريخيا مدعما ذلك بذكر أسباب وبواعث الانتحال عند العرب، كما تعدى ابن سلام أثناء ترجمته لأعلام طبقات الشعراء إلى كشف وجوه الشعر الموضوع عند بعض الشعراء،<sup>194</sup> ومن ذلك قوله: "لأبي سفيان بن الحارث شعر كان يقوله في الجاهلية فسقط ولم يصل إلينا منه إلا القليل، ولسنا نعد ما يروي ابن إسحاق له ولا لغيره شعرا؛

<sup>189</sup>- ينظر، قصي الحسين، النقد الأدبي عند العرب واليونان: معاملة وأعلامه، ص 303.

<sup>190</sup>- ينظر، م ن، ص 49.

<sup>191</sup>- قصي الحسين، النقد الأدبي عند العرب واليونان: معاملة وأعلامه، ص 303.

<sup>192</sup>- ابن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء، مج 1، ص 46.

<sup>193</sup>- المصدر نفسه، ص 46-47.

<sup>194</sup>- قصي الحسين، النقد الأدبي عند العرب واليونان: معاملة وأعلامه، ص 302.



ولأن لا يكون لهم شعر أحسن من أن يكون ذاك لهم<sup>195</sup>. وقوله أيضا: " ويروي الناس لأبي سفيان بن الحارث، يقول لحسان:

أبوكَ أْبُوسَوء، وخالِكَ مثلهُ      ولستَ بخير من أبيكَ وخالِكَ  
وإنَّ أحق الناس أن لا تلومه      على اللؤم، من ألقى أباهُ كذلكا

فأخبرني أهل العلم من أهل المدينة: أن قدامة بن موسى بن عُمر بن قدامة بن مظعون الجُمعي قالها ونَحَلها أبا سفيان، وقريش تزويه في أشعرها تريد بذلك الأنصار والرد على حسان<sup>196</sup>. كما قال عن حسان بن ثابت: " وهو كثير الشعر جیده وقد حمل عليه ما لم يحمل على أحد لما تَعاضَهت قريش واستَبَّت وضعوا عليه أشعارا كثيرة لا تُنقى<sup>197</sup>. وعليه فابن سلام لم يكتف بالتنظير فقط بل تعدى إلى التطبيق، وذلك من خلال الإشارة أثناء ترجمته للشعراء إلى بعض أشعارهم المنحولة.

وأخيرا يمكن القول إن ابن سلام ضمّن كتابه نظرية علمية مهمة لدراسة الشعر الجاهلي والمخضرم، وذلك لتمييز الموضوع والصحيح منه، ولكن إحسان عباس يرى أن هذه النظرات التي جاء بها ابن سلام لم يطورها من جاء بعده من النقاد.

#### -المصادر والمراجع المعتمدة:

- 1-إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت-لبنان، ط4، 1983.
- 2-الأصفهاني (أبو الفرج)، الأغاني، ج6، دار الكتب المصرية، القاهرة، دط، 1935.
- 3-جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، 1997.
- 4-ابن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء، مج1، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع، القاهرة، دت، دط،
- 5-عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، الصدر لخدمات الطباعة، القاهرة، ط2، دت.
- 6-قصي الحسين، النقد الأدبي عند العرب واليونان: معالمه وأعلامه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس-لبنان، ط1، 2003.

<sup>195</sup>- ابن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء، مج1، ص 247

<sup>196</sup>- المصدر نفسه، ص 250.

<sup>197</sup>- م ن، ص 214.

- 7- محمد عثمان علي، في أدب ما قبل الإسلام، دار الأوزاعي، بيروت، دط، 1986.
- 9- ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار المعارف، مصر، 1982.

المحاضرة السادسة: قضية الفحولة

## توطئة:

المصطلح هو لفظ يصطلح به أهل علم من العلوم على متصوراتهم الذهنية الخاصة بالعقل المعرفي الذي ينتسبون إليه<sup>198</sup>، ويعد مصطلح الفحولة من المصطلحات التي تجلت عند النقاد القدماء، إذ حاولوا من خلاله دراسة الشعر، والحكم على الشاعر؛ ويعد الأصمعي أول ناقد اتخذها كمقياس نقدي للحكم على الشاعر بأنه فحل وغير فحل، فما مفهوم هذا المصطلح؟

1- لغة: ورد في معجم مقاييس اللغة في مادة (فحل) "الفاء والحاء واللام أصل صحيح يدل على ذكارة، وقوة من ذلك الفحل من كل شيء، وهو الباسل... وفحل، فحيل: كريم والعرب تسمى سهيلا: الفحل، تشبيها له بفحل الإبل لاعتزاله النجوم، وذلك أن الفحل إذا قرع الإبل، اعتزلها"<sup>199</sup>.

وورد في لسان العرب "الفحل معروف: الذكر من كل حيوان وجمعه أفحل وفُحول وفُحولة وفِحالٍ وفِحالة... ورجل فحيل: فحل، وإنه ليبين الفحولة والفحالة والفحلة... فحل الإبل إذا كان كريما منجبا"<sup>200</sup>. وبذلك فلفظ الفحل يدل على الذكر من الحيوان، ولكن ليس كل ذكر، بل القوي المنجب المتميز عن غيره، وبذلك فالفحولة تعني الذكر من الإبل المتميز بالضخامة والقوة، وهو مصطلح نقدي استمد من بيئة البادية للدلالة على الشعر والشعراء.<sup>201</sup>

2- اصطلاحا: قد ورد في لسان العرب أن الفحول من الشعراء هم "الذين غلبوا بالهجاء من هاجاهم مثل جرير والفرزدق وأشباههما، وكذلك كل من عارض شاعرا فغلب عليه مثل علقمة بن عبدة"<sup>202</sup> وبذلك فالشاعر الفحل من توفرت فيه قوة الشاعرية، ونبل العبارة وغلبة الأقران، بتوليد المعاني المبتكرة والسبك المتقن.<sup>203</sup>

ويرى إحسان عباس أن مصطلح الفحولة "يعود بنا... إلى طريقة الخليل بن أحمد الفراهيدي في اختيار الألفاظ الدالة على الشعر من طبيعة الحياة البدوية، فالفحل جملا كان أو فرسا، يتميز بما

<sup>198</sup> - ينظر، عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004، ص 146.

<sup>199</sup> - ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تج: عبد السلام هارون، دار الفكر، مصر، 1979، ج4 ص479.

<sup>200</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج11، دار صادر، بيروت، دط، ص 516

<sup>201</sup> - كبير بن عيسى، عيار المعايير الأصمعية في نقد الفحولة الشعرية. [http://elyakine.blogspot.com/2013/03/blog-post\\_3064.html](http://elyakine.blogspot.com/2013/03/blog-post_3064.html)

post\_3064.html، تاريخ الإنزال: 2013/03/28/ تاريخ الإطلاع: 2021/11/20.

<sup>202</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص 518.

<sup>203</sup> - كبير بن عيسى، عيار المعايير الأصمعية في نقد الفحولة الشعرية، ص 5

يناقض صفة اللين التي يكرهها الأصمعي في الشاعر، وبالفحولة يتفوق على ما عداه".<sup>204</sup> وعليه فمصطلح الفحولة مستمد من الطبيعة البدوية.

إن الأصمعي حاول أن يحدد من خلال هذا المصطلح النموذج الشعري الجاهلي الذي يجب أن يحتذى به من طرف الشعراء، لذلك نجده قد حدد الفحولة على أنها امتياز<sup>205</sup>، فحين سأله أبو حاتم السجستاني عن معنى الفحل أجابه بأن "له مزية على غيره كمزية الفحل على الحقاق، وبيت جرير يدل على هذا:

و ابن اللبون إذا ما لَزَّ في قرنٍ لم يستطع صولة البُرلِ القناعيس"<sup>206</sup>.

"كمزية البالغ الناضج على الصغير الناشئ، والحق من الإبل هو من الإبل الذي استكمل ثلاث سنوات ودخل الرابعة"<sup>207</sup>.

وعليه فالشعراء عند الأصمعي فئتان: فحول وغير فحول. "قال أبو حاتم سألت الأصمعي عن الأعشى- أعشى قيس بن ثعلبة- أفحل هو؟ قال: لا، ليس بفحل... قلت: فعلقمة بن عبدة قال: فحل. قلت: فالحارث بن حلزة؟ قال: فحل. قلت: فعمرو بن كلثوم؟ قال: ليس بفحل. قلت: فالمسيب بن علس؟ قال: قال: فحل... قلت: المهلهل؟ قال: ليس بفحل..."<sup>208</sup>. فهذا النص وغيره يدل على أن الفحولة "صفة عزيزة عندهم وهي تعني التفرد والتفوق... وغلبة صفة الشعر على كل الصفات الأخرى"<sup>209</sup>. وقد حدد سمات الفحل من خلال امرئ القيس فهو عند الأصمعي " أولهم كلهم في الجودة... له الحظوة والسبق وكلهم أخذوا من قوله واتبعوا مذهبه"<sup>210</sup> نعاين من هذا النص تحديد الأصمعي لهذا الامتياز كما يأتي:

- الحظوة؛ أي المنزلة والمكانة.

- السبق.

<sup>204</sup>- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت-لبنان، ط4، 1983، ص50.

<sup>205</sup>- ينظر، أدونيس، الثابت والمتحول، بحث في الإبداع والاتباع عند العرب، ج2، دار الساقي، بيروت-لبنان، ط10، 2011م، ص37.

<sup>206</sup>- الأصمعي، عبد الملك بن قريش، فحولة الشعراء، تح: عبد المنعم خفاجي، دار القلم للتراث، القاهرة، دط، ص34.

<sup>207</sup>- أدونيس، الثابت والمتحول، بحث في الإبداع والاتباع عند العرب، ص37.

<sup>208</sup>- الأصمعي، عبد الملك بن قريش، فحولة الشعراء، ص38-39.

<sup>209</sup>- حسين الحاج حسن، النقد الأدبي في آثار أعلامه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 1996، ص137.

<sup>210</sup>- الأصمعي، عبد الملك بن قريش، فحولة الشعراء، ص33.

- الأخذ من قوله.

- اتباع مذهبه.

### 3- كيف يصبح الشاعر فحلا؟:

حدد الأصمعي بعض الشروط التي يجب أن يأخذ بها الشاعر ليصبح فحلا قد أورد ابن رشيق نصا عن الأصمعي يوضح فيه ذلك؛ إذ يقول: "لا يصير في قريض الشعر فحلا حتى يروي أشعار العرب، ويسمع الأخبار ويعرف المعاني، وتدور في مسامعه الألفاظ، وأول ذلك: أن يعلم العروض ليكونا ميزانا له على قوله، والنحو ليصلح به لسانه، وليقيم به إعرابه، والنسب وأيام الناس ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم"<sup>211</sup>. نعاين من خلال هذا النص أهم الشروط التي حددها وهي:

- رواية الأشعار/ سماع الأخبار. / معرفة المعاني. / دوران الألفاظ في مسامعه. / الإحاطة بعلم العروض ليقيم الوزن. / العلم بالنحو ليصلح لسانه. / العلم بالأنساب وأيام الناس ليستعين بها في المدح والذم.

ولكن ليس كل شاعر يستحق الميزة (=الفحولة)، بل لابد من توفر جملة الأمور، وقد تجلت من خلال هذا نص؛ إذ سأل أبو حاتم الأصمعي بقوله: "...قلت: عمرو بن كلثوم؟ قال: ليس بفحل...قلت: عروة بن الورد؟ قال: شاعر كريم وليس بفحل...قلت: فالحويدرة؟ قال: لو قال مثل قصيدته خمس قصائد كان فحلا...قلت: فابن مقبل؟ قال ليس بفحل...قلت: فابن أحمر الباهلي؟ قال: ليس بفحل...قلت: فكعب بن جعيل؟ قال: أظنه من الفحول ولا أستيقنه..قلت: فحاتم الطائي؟ قال: حاتم إنما يعد بكرم، ولم يقل إنه فحل...قلت: فمعقر البارقي حليف بني نمير؟ قال: لو أتم خمسا أو ستا لكان فحلا...قلت: فأعشى همدان؟ قال: هو من الفحول. وهو إسلامي كثير الشعر...قلت: كعب بن سعد الغنوي، قال: ليس من الفحول إلا في المرثية فإنه ليس في الدنيا...وسألته عن خفاف بن ندبة وعنبرة والزبيرقان بن بدر، قال: هؤلاء أشعر الفرسان...ولم يقل إنهم من الفحول...قلت: فالأسود بن يعفر النهشلي، قال: يشبه الفحول...قلت: فأوس بن مغراء الهجيمي، قال: لو كان قال عشرين قصيدة لحق بالفحول...قلت: لبيد بن ربيعة، قال: ليس بفحل...وقال لي مرة: شعر لبيد كأنه طيلسان طبري يعني أنه جيد الصنعة وليست له حلاوة...قلت: فزيد الخيل الطائي؟ قال: هو من الفرسان..."<sup>212</sup>.

<sup>211</sup>- ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ج 1، قدم له وشرحه وفهرسه صلاح الدين الهواري، وهدي عودة، دار ومكتبة

الهلال، بيروت-لبنان، دط، 2002م، ص 329.

<sup>212</sup>- الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء، ص 38، 40، 41، 43، 44.

نعين من خلال هذا الحوار أن الفحولة سمة غالية تعني التفرد، ومن أرادها من الشعراء لابد أن تتوفر فيه السمات الآتية:

-غلبة صفة الشعر على غيرها من الصفات فحاتم الطائي تغلب عليه صفة الكرم لذلك لا يمكن أن نسميه فحلاً؛ لأن الشعر لا يغلب عليه، وكذلك خفاف بن ندبة وعنترة والزبيرقان بن بدر هم أشعر الفرسان وليسوا بفحول، وزيد الخيل الطائي فارس ولا يغلب عليه الشعر.

-كذلك كثرة القصائد تمكن الشاعر من استحقاق هذه السمة، فالقصيدة الواحدة لا تجعل من شاعرها فحلاً، كمرثية كعب بن سعد الغنوي، ولكن هذا التفاوت في عدد القصائد غير واضح عند الأصمعي، فمعقر البارقي حليف بني نمير، قال: لو أتم خمسا أو ستا لكان فحلاً، وأوس بن مغراء الهجيمي، قال: لو كان قال عشرين قصيدة لحق بالفحول.

-ضرورة تحقيق التوازن بين الطبع والصنعة، ويمكن أن نستشف ذلك من خلال موقفه من شعر لبيد بن ربيعة؛ إذ قال أبو حاتم: "قلت: لبيد بن ربيعة، قال: ليس بفحل... وقال لي مرة: شعر لبيد كأنه طيلسان طبري يعني أنه جيد الصنعة وليست له حلاوة..."<sup>213</sup>. وبذلك فالفحولة تعني طرازا رفيعا في السبك، وطاقمة متفردة في الشاعرية، وقدرة كبيرة على توليد المعاني وإبرازها بشكل متميز وبجودة عالية بعيد عن التكلف.<sup>214</sup>

أما ابن سلام الجمعي (231هـ) قد اتبع خطى الأصمعي؛ إذ استخدم مصطلح "الفحول" في كتابه وهذا ما تجلّى في قوله: "فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعر..."<sup>215</sup>، ومن الأسس التي أقام عليها ابن سلام طبقاته، فأنزل الشعراء منازلهم ما يأتي:

-تعدد الأغراض؛ أي النظم في الأغراض الشعرية المختلفة.

- كثرة الشعر، وبخاصة الطوال الجياد.

- جودة الشعر.

ولم يقسم ابن سلام الشعراء إلى فحول وغير فحول كالأصمعي، وإنما نظر في الطبقة الأرقى وجعلها معياراً؛ لأنه جعل الشعراء في طبقات بحكم تقاربهم في مستوى الأداء الشعري، فهذا التقارب جعلهم

<sup>213</sup>-المصدر نفسه، ص 44.

<sup>214</sup>- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت-لبنان، ط4، 1983، ص 53.

<sup>215</sup>- ابن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء، مج1، شركة القدس للنشر والتوزيع، ودار المدني للنشر والتوزيع، مصر، ص 24.

في (طبقة) ثم تفاوت مستويات الأداء الشعري، فهذا التفاوت هو الذي يحدد منزلتهم (الطبقة)، وهو في هذا وسع الأفق النقدي الذي حدده الأصمعي قبله.<sup>216</sup> ويتجلى هذا في قوله: "ففضلنا الشعراء من أهل الجاهلية، والإسلام، والمخضرمين الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام، فنزلناهم منازلهم واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة، وما قاله فيه العلماء... فاقترضنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً ألقنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه فوجدناهم عشر طبقات، أربعة رهط كل طبقة متكافئين مُعتدلين".<sup>217</sup> وكانت طبقاته كالتالي:

- طبقات الشعراء الجاهليين: عشرة طبقات في كل طبقة أربعة رهط. /2- طبقات الشعراء الإسلاميين/3- طبقة أصحاب المراثي: تضم ثلاثة شعراء وشاعرة (الخنساء)/4- طبقة شعراء القرى العربية (شعراء المدينة، شعراء مكة، شعراء الطائف، شعراء البحرين)، طبقة شعراء اليهود.

أما ابن قتيبة فقد كان موقفه معتدلاً، ولم يفصل بين ما هو قديم عتيق من عيون الشعر، وما هو محدث مولد وجديد، فهو يرى أن الموهبة الشعرية موهبة لا تتقيد بزمان ولا مكان. وبالتالي فهو يميل إلى الشعر الجيد من أي جهة أتى<sup>218</sup>، وفي ذلك يقول: "...ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرت بعين العدل على الفريقين، وأعطيت كلا حظله ووفرت عليه حقه... فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له،... ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله ولا حداثة سنه كما أن الرديء إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه".<sup>219</sup> وبموجب هذين النصين نصل إلى أن ابن قتيبة نظر إلى الجودة الشعرية كخصيصة وكمعيار أساسي في الحكم على الشعر لا على الشاعر. فالتطابق بين الشكل والمضمون يحقق الجودة التي تبرز المكانة وتكسب الفحولة.<sup>220</sup>

أما الأمدي (370هـ) يمكن أن نستشف تصوره من خلال كتاب الموازنة؛ إذ حدد من خلاله المعايير والموازن التي أقام عليها موازنته بين البحري وأبي تمام، فجاء بعمود الشعر ليوضح من خلاله الهدف من الموازنة، فكان أول ما استحدث هذا المصطلح، ثم جاء بمعايير وجب على الشاعر التقيد بها حتى

<sup>216</sup>-رحمن غركان، مقومات عمود الشعر الأسلوبية في النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2003، ص 60

<sup>217</sup>- ابن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء، ج1، ص 23-24.

<sup>218</sup>- وليد عثمان، مفهوم الفحولة وموضوعاتها في الشعرية العربية القديمة: دراسة تحليلية، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، إشراف زردومي إسماعيل، جامعة باتنة 2008-2009، ص 100.

<sup>219</sup>- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق محمد أحمد شاكر، دار المعارف، ط2، دت، ص 62-63.

<sup>220</sup>- وليد عثمان، مفهوم الفحولة وموضوعاتها في الشعرية العربية القديمة: دراسة تحليلية، ص 101

يسير في ركاب الفحول من الشعراء وهي: الإمام بالمعاني، وأخذ العفو منها/ جودة السبك/ وقرب المأتى /حسن التأتى/ وضع الألفاظ في مواضعها/ أن تكون الاستعارات لائقة.<sup>221</sup>

وقد جاء القاضي الجرجاني (392هـ) بكتاب الوساطة ليظهر الجودة الفنية في شعر المتنبي، وينتصر له، وقد اعتمد "على أسلوب المقايسة مبدأ في نقد شعر المتنبي؛ أي النظر في أشعار السابقين من الجاهلين حتى المحدثين في القرنين الثاني و الثالث الهجريين، وقياس شعر المتنبي إليهم فما أخذ على المتنبي، وكان واردًا عن القدماء فقياس شعر المتنبي إليهم أولى من اتهامه بالقصور دونهم".<sup>222</sup> فهذه المقايسة حسب تصوره تظهر فحولة المتنبي، وذلك من خلال المعايير التي تجلت في شعره، وهي: شرف المعنى/ جزالة اللفظ / الإصابة في الوصف/ المقاربة في التشبيه/ الغزارة في البديهة/ كثرة الأبيات السائرة والأمثال الشاردة<sup>223</sup>. فهذه المعايير حسب تحليل صاحب الوساطة تثبت فحولة المتنبي. وأما الفحولة عند المرزوقي تكون في شاعر مفلق مبتكر لمعان جديدة وجيدة، ومحسن ومجيد في نظام القريض.<sup>224</sup> أما ابن رشيق (456هـ) فقد قسم الشعراء إلى أربعة أقسام؛ إذ يقول: "وقالوا الشعراء أربعة: شاعر خنديد، وهو الذي يجمع إلى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره، وسئل رؤية عن الفحولة، قال: هم الرواة، وشاعر مُفَلِّق وهو الذي لا رواية له إلا أنه مجوّد كالخنديد في شعره وشاعر فقط وهو فوق الرديء بدرجة وشُعْرُورٌ وهو لا شيء... وقيل: بل هم شاعر مفلقٌ، وشاعر مطلق، وشُوَيْرٌ، وشعورٌ، والمفلق هو الذي يأتي في شعره بالفلق وهو العجب...".<sup>225</sup> وأخيرا يمكن القول أن مصطلح الفحولة مستمد من البيئة العربية للدلالة على الشاعر المتفوق على أقرانه، وكل ناقد حدد السمات الواجب توافرها في الشاعر حتى يستحق هذا اللقب.. ولكن تبقى دائما الجودة هي الحلقة المشتركة بين جميع النقاد.

## المصادر والمراجع:

1- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت- لبنان، ط4، 1983.

221- وليد عثمانى، مفهوم الفحولة وموضوعاتها في الشعرية العربية القديمة ، ص 123-124

222- رحمان غركان مقومات عمود الشعر الأسلوبية في النظرية والتطبيق، ص 168.

223- ينظر، القاضي الجرجاني، الوساطة، تحقيق محمد أبو الفضل، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، دت، ص 415.

224- وليد عثمانى، مفهوم الفحولة وموضوعاتها في الشعرية العربية القديمة: دراسة تحليلية، ص 135

225- ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ج1، ص 202



- 2- أدونيس، الثابت والمتحول، بحث في الإبداع والإتياع عند العرب، ج2، دار الساقى، بيروت-لبنان، ط10، 2011م.
- 3- الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء، تح: عبد المنعم خفاجي، دار القلم للتراث، القاهرة، دط، دت.
- 4- حسين الحاج حسن، النقد الأدبي في آثار أعلامه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 1996.
- 5- رحمن غركان، مقومات عمود الشعر الأسلوبية في النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2003.
- 6- ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ج1، قدم له وشرحه وفهرسه صلاح الدين الهوارى، وهدى عودة، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، دط، 2002م.
- 7- ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، مج1، شركة القدس للنشر والتوزيع، ودار المدني للنشر والتوزيع، مصر.
- 8- عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004.
- 9- ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، ج4، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، مصر، 1979.
- 10- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق محمد أحمد شاكر، دار المعارف، ط2، دت.
- 11- القاضي الجرجاني، الوساطة، تحقيق محمد أبو الفضل، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، دت.
- 12- كبير بن عيسى، عيار المعايير الأصمعية في نقد الفحولة الشعرية، .  
http://elyakine.blogspot.com/2013/03/blog-post\_3064.html، تاريخ الإنزال: 2013/03/28/  
تاريخ الإطلاع: 2021/11/20.
- 13- ابن منظور، لسان العرب، ج11، دار صادر، بيروت، دط، دت.
- 14- وليد عثمانى، مفهوم الفحولة وموضوعاتها في الشعرية العربية القديمة: دراسة تحليلية، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، إشراف زردومي إسماعيل، جامعة باتنة 2008-2009..

توطئة:

تعد قضية عمود الشعر من القضايا الكبرى التي طرحها النقاد القدماء في مصنفاتهم المختلفة، لتحديد أهم المعايير التي يجب أن تتوفر في الخطاب الشعري، لتحقيق فيها المعادلة الفنية، وقد عرفه محمد عبد المنعم خفاجي بقوله: "... كل التقاليد الفنية التي التزمها القدماء في قصائدهم، وفي الأفكار والمعاني، والأخيلة، والأوزان، والقوافي والألفاظ والأساليب والصور وغيرها"<sup>226</sup> ويعرف أيضا بأنه التقاليد الشعرية المتوارثة أو السنن المتبعة عند شعراء العربية فمن سار على هذه السنن، وراعى تلك التقاليد، قيل إنه التزام عمود الشعر، واتبع طريقة العرب، ومن حاد عن تلك التقاليد قيل عنه: إنه خرج على عمود الشعر، وخالف طريقة العرب.<sup>227</sup> وهو اصطلاح جديد ظهر في العصر العباسي، وذاع تداوله على ألسنة النقاد بخاصة في القرن الرابع، ويعد الأمدي (371هـ) من أشهر النقاد الذين اهتموا بعمود الشعر واتخذوه كمعيار للحكم على الشعر، وقد ورد ذلك في كتابه "الموازنة"، وهو يفضل البحري على أبي تمام؛ إذ يقول: "...لأن البحري أعرابي الشعر مطبوع، وعلى مذهب الأوائل، وما فارق عمود الشعر المعروف وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ"<sup>228</sup>. وأما أبو تمام " شديد التكلف، صاحب صنعة ويستكره الألفاظ والمعاني، وشعره لا يشبه شعر الأوائل، ولا على طريقتهم".<sup>229</sup> فالأمدي يرى أن أبا تمام خرج عن طريقة العرب (=عمود الشعر)، ويتضح هذا حين سئل البحري عن نفسه، وعن أبي تمام، فأجاب: " كان أغوص على المعاني مني، وأنا أقوم بعمود الشعر منه".<sup>230</sup> وبذلك فالأمدي يفضل الوضوح والبعد عن الغموض السلبي الذي يؤثر على العملية الإفهامية والتأثيرية.

وقد بيّن الأمدي في كتابه المنهج الفني الخاص بعمود الشعر العربي؛ فالأساليب لا بد لها من الألفاظ الحلوة، وجودة الرصف وحسن الديباجة، وكثرة الماء. أما المعاني يفضل فيها حسن التأتي وقرب المأخذ واختيار الألفاظ اللائقة القادرة على إخراجها بصورة مألوفة بعيدة عن الغموض. أما ناحية التصوير

226- محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية للنشر، القاهرة، ط1، 1995 ص76-77..

227 - ثامر إبراهيم محمد الصاوة، نظرية عمود الشعر بين النشأة والتأسيس،

[https://www.alukah.net/literature\\_language/0/2432](https://www.alukah.net/literature_language/0/2432) تاريخ الإنزال 2008/05/1.

228 - الأمدي، ( أبو القاسم الحسن بن بشر) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري، دار المعارف، ط4، دت، ص4.

229 - المصدر نفسه، ص12.

<sup>230</sup> - م ن، ص 12.

يفضل فيها الاعتدال وعدم الإغراق؛ إذ يقول: "تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه فإن الكلام لا يكتسي البهاء والرونق إلا إذا كان بهذا الوصف وتلك طريقة البحري"<sup>231</sup>.

أما من حيث الخيال فيفضل الاعتدال والتوسط في نسج الصور<sup>232</sup> ولهذا أقر أن شعر أبي تمام خرج على عمود الشعر؛ لأن استعارته اتسمت بالبعد، فأصبح شعره " لا يشبه الأوائل، ولا على طريقتهم، لما فيه من الاستعارات البعيد والمعاني المولدة"<sup>233</sup>. ويتضح من خلال طرحه النقدي أن عمود الشعر هو طريقة العرب، ومذهبهم في صناعة القصيدة، ومن خرج شعره عن طريقة العرب يفقد الطلاوة وحسن السبك ويغوص في المعاني المعقدة، التي تحقق الغموض السلبي، والذي يؤثر بدوره على عملية التلقي.

ويتضح مما سبق أن خصائص عمود الشعر التي سطرها الأمدى تتوافق مع شعر البحري وهذا يعني أنه كان يفضل طريقة البحري، ويميل إليها ومن أجل ذلك جعلها "عمود الشعر" ونسبها إلى الأوائل. 234 وهذا ما تجلّى بقوله: " والمطبوعون وأهل البلاغة لا يكون الفضل عندهم من جهة استقصاء المعاني والإغراق في الوصف، وإنما يكون الفضل عندهم في الإمام بالمعاني وأخذ العفو منها كما كانت الأوائل تفعل، مع جودة السبك وقرب المأثي، والقول في هذا قولهم، وإليه أذهب"<sup>235</sup>.

كما طرح عبد العزيز الجرجاني (ت 391هـ) قضية عمود الشعر " في كتاب "الوساطة" ، وقد حدد خصائصه بقوله: " وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن وبشرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ، واستقامته، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب ، وشبه فقارب، وبده أغزر، ولمن كثرت سوائر أمثاله، وشوارد أبياته، ولم تكن العرب تعبأ بالتجنيس والمطابقة، ولا تحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر"<sup>236</sup>. ونعائين من هذا النص أن الناقد قد حدد خصائص القصيدة العربية كما يأتي : شرف المعنى/ جزالة اللفظ واستقامته/ إصابة الوصف/ المقاربة في

<sup>231</sup> - الأمدى، (أبو القاسم الحسن بن بشر) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري، ص 423..

<sup>232</sup> - ينظر، المصدر نفسه، ص 423.

<sup>233</sup> - م ن، ص 4-5

<sup>234</sup> - ينظر، إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة بيروت- لبنان، ط4، 1983م، ص 162

<sup>235</sup> - الأمدى، (أبو القاسم الحسن بن بشر) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري، ص 525.

236 - القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل وعلي البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط1،

2006، ص 38.

التشبيه، الغزارة في البديهة، كثرة الأمثال السائرة والأبيات الشاردة. وقال: " لم تكن تعباً بالتجنيس والمطابقة ولا تحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض"<sup>237</sup>. وكما يتضح من خلال طرحه أنه لم يصح عن رأيه في صلة المتنبي بعمود الشعر إلا أننا نلمح من طرف خفي أن الشروط الستة التي وضعها تنطبق على شعر المتنبي حسب تصوره.<sup>238</sup>

وعليه يمكن القول أن البذور الأولى لنظرية عمود الشعر تجلت عند كثير من النقاد الأوائل نحو الأمدي والجرجاني، وجاء بعد ذلك المرزوقي (421هـ) الذي صاغ أهم عناصرها ضمن مقدمة طرح فيها أيضاً بعض القضايا النقدية، وذلك "ليتميز به تليد الصنعة من الطريف، وقديم نظام القريض من الحديث... ويعلم أيضاً فرق ما بين المصنوع والمطبوع"<sup>239</sup> وقد استفاد من آراء السابقين وتجلت نظرية عمود الشعر عنده في سبعة شروط هي: 1- شرف المعنى وصحته./2- جزالة اللفظ واستقامته./3- الإصابة في الوصف./4- المقاربة في التشبيه.5- التحام أجزاء النظم والتتامها على تخير من لذيذ الوزن./6- مناسبة المستعار منه للمستعار له./7- مشاكلة اللفظ للمعنى. ويعرض<sup>240</sup> ، وقد استمد أربعة عناصر من طرح الأمدي والجرجاني، ولكنه أضاف ثلاثة وهي:<sup>241</sup>

-التحام أجزاء النظم والتتامها على تخير من لذيذ الوزن.

-مناسبة المستعار منه للمستعار له.

-مشاكلة اللفظ وشدة اقتضائها للقافية حتى لا منافرة بينهما.

نستشف مما سبق أن المرزوقي حدد "... مقومات عمود الشعر وعناصره التي بإخلالها لا يبلغ البناء الفني للقصيدة أو المقطوعة الكمال ولا يحرز الشاعر قصب السبق أو ينال رضا أنصار طريقة العرب..."<sup>242</sup> ويتضح من خلال المقومات التي حددها أنه قد استغنى عن الغزارة في البديهة وعوضه بـ "كثرة الأمثال السائرة والأبيات الشاردة"، وقد استعان بآراء السابقين نحو: الأمدي، وقدامه

<sup>237</sup> - القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص 38.

<sup>238</sup> - إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 323.

<sup>239</sup> - المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن) شرح ديوان الحماسة، نشره عبد السلام هارون، وأحمد أمين لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1967م، ص 7.

<sup>240</sup> - ينظر، المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن) شرح ديوان الحماسة، ج 1، ص 9.

<sup>241</sup> - ينظر، رفعت التهامي، النقد الأدبي العربي القديم، دار النشر الدولي، الرياض، ط 1، 2008، ص 325.

<sup>242</sup> - الطاهر حمروني، منهج أبي علي المرزوقي في شرح الشعر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 176

والجرجاني وابن طباطبا فكانت صياغته لنظرية عمود الشعر خلاصة الآراء النقدية في القرن الرابع<sup>243</sup>  
أما عن المعايير التي وضعها المرزوقي للعناصر السبعة فهي كما يأتي:

1- عيار المعنى أن يعرض على العقل الصحيح والفهم الثاقب<sup>244</sup>، "فهو المحك القويم وجماع الأدوات  
الثاقبة لتمييز المعاني الجليلة واصطفاء الجيد الشريف منها"<sup>245</sup> العقل والفهم هما القادران على  
ترجيح المعنى الجلي والجيد الشريف عن المعنى الغث الرديء.

2- عيار اللفظ الطبع والرواية، والاستعمال<sup>246</sup>. "فما سلم مما يهجنه عند العرض عليها فهو المختار  
المستقيم وهذا في مفرداته وجملته مراعى؛ لأن اللفظة تستكرم بانفرادها فإذا ضامها ما لا يوافقها  
عادت الجملة هجيناً"<sup>247</sup> وبذلك فهو "يشير إلى طبيعة العلاقة التي تربط بين اللفظ والمعنى، كما  
أشار إلى ما يجب أن يكون عليه اللفظ في إفراده من حيث الحروف وتأليفها فيما بينها، فقد يكون  
اللفظ في إفراده مستساغاً عذبا يروق للسمع، فإذا أسند إلى لفظ آخر لا يجانسه ولا ائتلاف بينهما  
اضطرب فقد حسنه وصار مستكرها على السمع، ومن ثم فإن الجملة تفقد جمالها وتعود إلى هجنتها  
المنفرة"<sup>248</sup> وبذلك فهو يشير إلى قضية التناسب بين الألفاظ والمعاني من حيث الصياغة، فكل لفظة  
لها المقام المناسب حسب السياق الذي ترد فيه.

3- عيار الإصابة في الوصف هو "الذكاء وحسن التمييز فما وجداه صادقاً في العلو مماًزجاً في  
الصلوق يتعسر الخروج عنه والتبرؤ منه فذاك سيماء الإصابة، ويروى عن عمر رضي الله عنه أنه  
قال مدح زهير: "كان لا يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال"<sup>249</sup> فحسن الوصف ودقته يضمن للشاعر  
علوقه في وجدان المتلقي، كما أشار إلى قضية الصدق من خلال ذكر موقف عمر بن الخطاب من  
شعر زهير بن أبي سلمى.

4- عيار المقاربة في التشبيه هو "الفطنة وحسن التقدير، وأصدقاه ما لا ينتقص عند العكس  
وأحسنه ما أوقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما لبيين وجه الشبه بلا كلفة

<sup>243</sup> - إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 405

<sup>244</sup> - ينظر، المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن) شرح ديوان الحماسة، ص 9.

<sup>245</sup> - الطاهر حمروني، منهج أبي علي المرزوقي في شرح الشعر، ص 178

<sup>246</sup> - المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن) شرح ديوان الحماسة، ج 1، ص 9

<sup>247</sup> - المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

<sup>248</sup> - الطاهر حمروني، منهج أبي علي المرزوقي في شرح الشعر، ص 180

<sup>249</sup> - المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن) شرح ديوان الحماسة، ج 1، ص 9

...<sup>250</sup>. وبذلك فالتشبيه من أهم التقانات عند النقاد القدماء؛ لذا اهتموا به وحددوا شروط صياغته لينسج الشاعر صورة رائقة تفتن الخيال.

5- عيار التحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن وعيار ذلك " الطبع واللسان فما لم يتعثر الطبع بأبنته وعقوده ولم يتحبس اللسان في فصوله ووصوله بل استمر فيه واستسهلاه بلا ملال ولا كلال فذاك يوشك أن يكون القصيدة منه كالبيت والبيت كالكلمة سالما لأجزائه..."<sup>251</sup> ، وبذلك فالطبع واللسان هما الكفيلان لتمييز الكلام السهل والعذب فإذا جاء الشعر على هذا النمط وأحس قائله والمتلقي معا أن القصيدة توشك أن تكون كالبيت الواحد والبيت كالكلمة فذاك هو الشعر الجيد الحسن الخليق بالإبداع.<sup>252</sup> وبهذا فالشاعر المطبوع والمتحكم في آليات التأليف يمكنه أن يحقق الجودة في شعره.

6- مناسبة المستعار منه للمستعار له: وعيار ذلك كله الذهن والفظنة؛ إذ يقول المرزوقي: "وعيار الاستعارة الذهن والفظنة وملاك الأمر تقريب التشبيه في الأصل حتى يتناسب المشبه والمشبه به ثم يكتفي فيه بالاسم المستعار لأنه المنقول عما كان له في الوضع إلى المستعار له"<sup>253</sup> . وهذا يعني "أن الذهن والفظنة هما عيار الاستعارة، فلكي تتحقق الاستعارة على وجهها الحسن لا بد أن يعمل الشاعر على إبراز الشبه الذي بنيت عليه الاستعارة وتقريبه في صورة تنم عن الوفاق والتناسب بين المستعار له والمستعار منه، فإذا استعير للشيء ما يقرب منه ويليق به كان أولى مما ليس منه في شيء"<sup>254</sup> . وهذا يعكس أهمية الاستعارة باعتبارها آلية متفردة في نسج الصورة، وتغير طبيعة ونمط المعنى، لذا فهو يقر بأهمية المشابهة والمناسبة في صياغة الاستعارة.

7- مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائها للقافية: وعيار ذلك " طول الدرية ودوام المدارس فإذا حكما بحسن التباس بعضهما ببعض لا جفاء في خلالها ولا نُبو ولا زيادة فيها ولا قصور وكان اللفظ مقسوما على رتب المعاني قد جعل الأخص للأخص والأخص للأخص فهو البرئ من العيب"<sup>255</sup> . نعاين

<sup>250</sup> - المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن) شرح ديوان الحماسة، ج1، ص 9.

<sup>251</sup> - المصدر نفسه، ص 10

<sup>252</sup> - الطاهر حمروني، منهج أبي علي المرزوقي في شرح الشعر، ص 184

<sup>253</sup> - المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن) شرح ديوان الحماسة، ج1، ص 10-11

<sup>254</sup> - ينظر، الطاهر حمروني، منهج أبي علي المرزوقي في شرح الشعر، ص 187

<sup>255</sup> - المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن) شرح ديوان الحماسة، ج1، ص 11.

من النص أنه بالدربة والممارسة يكتسب المبدع قدرة خاصة تمكنه من إظهار المعنى الذي يريده وينتقي الألفاظ اللائقة بهذا المعنى والمناسبة لمقامه ومطابقة لمقتضى الحال.

وأخيرا يمكن القول إن قضية " عمود الشعر " من أبرز القضايا النقدية التي طرحها القدماء في مصنفاتهم المختلفة، وقد عدوه كإطار يضم الشعر العربي، هذا الإطار الذي لم يستطع أحد من شعرائنا أن ينحرف عنه في حقيقة الأمر، ومهما يُقال في مسلم ودعبل وأبي تمام والمتنبي وغيرهم من أصحاب التكلف والتصنع والبديع؛ فهؤلاء جددوا في كثير من الأشياء، ولكنهم احتفظوا دائماً بفصاحة اللغة وجزالتها، وبرونق الأسلوب وورصانته.<sup>256</sup>

#### قائمة المصادر والمراجع:

- 1-إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة بيروت-لبنان، ط4، 1983م.
- 2-الأمدي، (أبو القاسم الحسن بن بشر) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، دار المعارف، ط4، دت.
- 3-ثامر إبراهيم محمد الصاوة، نظرية عمود الشعر بين النشأة والتأسيس، [https://www.alukah.net/literature\\_language/0/2432](https://www.alukah.net/literature_language/0/2432) تاريخ الإنزال 2008/05/1.
- 4-رفعت التهامي، النقد الأدبي العربي القديم، دار النشر الدولي، الرياض، ط1، 2008.
- 5-الطاهر حمروني، منهج أبي علي المرزوقي في شرح الشعر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- 6-طه حسين، ألوان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2016.
- 7-القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل، وعلي البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط1، 2006.

<sup>256</sup> - طه حسين، ألوان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2016، ص 14.

8-محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية للنشر، القاهرة،

ط1، 1995.

9-المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن) شرح ديوان الحماسة، ج1، نشره عبد السلام

هارون، وأحمد أمين لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1967م.

المحاضرة الثامنة: قضية اللفظ والمعنى عند ابن قتيبة وابن طباطبا وقدامة بن جعفر

توطئة:

تعد قضية اللفظ والمعنى من أهم القضايا النقدية التي طرحها النقاد القدماء رغبة منهم في تحديد أهمية كل من اللفظ والمعنى في إعطاء النص الأدبي قيمته الفنية، وتعود جذور هذه القضية إلى العصر الجاهلي؛ إذ بدأ الاهتمام بها في شكل ملاحظات نقدية تدور



حول دقة اختيار الشاعر لألفاظه، كما اهتموا بصحة المعاني، وضرورة استخدام الألفاظ التي تعكس دلالتها بشكل كامل وجلي، ولكن هي نظرات بسيطة مصدرها الذوق الفطري، وقد تطورت مع الوقت حتى شكلت إطاراً نظرياً برز فيه مفهوم هذه القضية.

وتجلت هذه القضية بشكل واضح عندما طرح الجاحظ نظريته المعروفة بقوله: «المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي، والعربي والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولته، وسهولة المخرج وفي صحة الطبع، وجودة السبك وإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير».<sup>257</sup>

نعين من هذا القول أن الجاحظ أراد بكلامه الأسلوب بمعنى أوسع من رصف الألفاظ؛ إذ أدخل فيه الأخيصة والتصوير، وكأنما تنبه إلى أن المعاني وحدها لا تكفي لبلورة الكلام البليغ.<sup>258</sup> وبذلك فقد أراد بقوله "حسن الصياغة" مناسبة الألفاظ لإخراج المعنى من صفة الغيبية وصبغه بالتجلي والظهور، وهذا يعكس أهمية الصياغة، وبخاصة أن المعنى الشريف لا بد أن يقدم بلفظ بليغ، ليحقق الفاعلية التأثيرية المنتظرة، وهذا ما تتجلى في قوله: « فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً، وكان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه ومنزهاً عن الاختلال مصوناً من التكلف صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة»<sup>259</sup>، وهذا يعكس الموقف المعتدل للجاحظ فهو ليس من أنصار اللفظ، ولا من أنصار المعنى، وإنما يميل إلى الصياغة الفنية. وبخاصة أن الجاحظ أثناء حديثه عن مسألة النظم انطلق من الأساس الذي تهض عليها البلاغة وهو المزاجية أو الملاءمة بين اللفظ والمعنى؛ فالأسلوب القوي المحكم لا يتأتى إلا من خلال التعالق والانسجام التام بين ما أسماه اللفظ والمعنى.<sup>260</sup> وبعد الجاحظ طرحها العديد من النقاد منهم: ابن قتيبة وابن طباطبا، وقدامة بن جعفر.

257 - الجاحظ، "الحيوان"، ج3، تحقيق يحيى الشامي، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، دط، دت، ص 408، ص 131.

258 - شوقي ضيف، "البلاغة تطور وتاريخ"، دار المعارف، مصر-القاهرة، دط، 1965م، 52.

259 - البيان والتبيين، مج1، قدم له وبوبه وشرحه علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، دط، 2012م ص 87.

260 - قصي الحسين، النقد الأدبي عند العرب واليونان معاملة وأعلامه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس-لبنان، ط1، 2003، ص 313.

1- أمّا ابن قتيبة (ت 276هـ): يتجلى موقفه من هذه القضية من خلال حكمه على الشعر بدلا من الشاعر؛ إذ تتحدد العلاقة عنده في أربعة أضرب وهي:<sup>261</sup>

1- ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه، كقول أوس بن حجر:

أيتها النفس أجملِي جزعا إن الذين تحذرين قد وقعا

2- وضرب منه حسن لفظه وحلا فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى:

مثل: ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو مسح

وشدت على حذب المهاري رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هورائح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا فسالت بالأعناق المطي، الأباطح

ثم يعقب عليها ناقدا ومعلقا بقوله: "هذه الألفاظ كما ترى أحسن شيء مخارج ومطالع ومقاطع وإن نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته: ولما قضينا أيام منى واستلمنا الأركان وعالينا إبلنا الأنضاء ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح ابتدأنا في الحديث وسارت المطي في الأبطح"<sup>262</sup>، نعاين من هذا النص النقدي أنه حكم على المعنى بالسطحية وعدم العمق، ولكن هناك من لم يوافق ابن قتيبة في موقفه من هذه الأبيات الشعرية ويرى بأنها تتضمن تصويرا فنيا رائعا وبخاصة في الشطر الأخير "وسالت بالأعناق المطي الأباطح".<sup>263</sup>

3- وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه كقول لبيد بن ربيعة:

مَا عَاتَبَ الْمَرْءَ الْكَرِيمَ كَنَفْسِهِ وَالْمَرْءُ يُصْلِحُهُ الْجَلِيسُ الصَّالِحُ.

هذا وإن كان جيد المعنى والسبك فإنه قليل الماء والرونق حسب رأي ابن قتيبة.

4- وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه كقول الأعشى في امرأة:

261 - ينظر، ابن قتيبة، "الشعر والشعراء"، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، دط، دت، ص 65-66-67-68-69.

262 - المصدر نفسه، ص 184

263 - ينظر، رفت التهامي، النقد الأدبي العربي القديم، دار النشر الدولي، الرياض، 1469هـ، ص 390.

## وفُوها كأقاحي غذاه دائم الهَطل

وعليه فقد سعى ابن قتيبة من خلال طرحه النقدي إلى تبيان طبيعة العلاقة الجمالية بين اللفظ والمعنى، فهو يرى ضرورة الجمع بينهما، وعدهما الأساس في إعطاء النص الأدبي قيمته الفنية، فالشعر ينفرد ويسمو إذا كان حسن اللفظ، وجاد المعنى، كما نفهم من قوله أيضا، ومن خلال العلاقة التي حددها بين اللفظ والمعنى أن الشعر يمكن أن يتجلى في ثلاث طبقات: جيد، ووسط، ورديء.

2- أما ابن طباطبا (ت 322هـ): فإنه لم يفصل بينهما فكل منهما متأثر بالآخر قوة وضعفا؛ لأن القيمة الفنية لا تكون إلا بالتلازم والتلاؤم بينهما؛ إذ يقول: «وللمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها، وتقبح في غيرها...»<sup>264</sup> فهو لم يفصل بينهما، بل يرى ضرورة التطابق بين المعنى واللفظ؛ إذ لا بد من إفاء كل معنى حظه من العبارة وإلباسه ما يشاكله من الألفاظ، حتى يظهر في أحسن صورة.<sup>265</sup> ويتجلى هذا أيضا في قوله: «إذا ورد عليك الشعرُ اللطيف المعنى، الحلو اللفظ التام البيان، المعتدل الوزن مزج الروح ولاءم الفهم كان أنفذ من نفث السحر...»<sup>266</sup>. كما ذكر عناصر أخرى تسهم في بناء الخطاب الشعري كالقافية، والأوزان، وغيرها من المكونات، وبذلك فقد حدد عناصر الخطاب الشعري باعتبارها عناصر متداخلة في صياغته بطريقة فنية.

3- قدامة بن جعفر (ت 337هـ): عرف الشعر بقوله: " قول موزون مقفى يدل على معنى"<sup>267</sup> ، وبذلك فحد الشعر قوامه أربعة أسباب: اللفظ والمعنى والوزن والتقفية، فأما اللفظ فاشتراط فيه الفصاحة واستقامة المبنى النحوي وسلامة الترتيب الفصاحة، أما المعنى فاشتراط فيه الوضوح، ويقصد به المعاني التي يدل عليها الشعر، وهي المديح والهجاء والمراثي والتشبيه والوصف والغزل، وأما الوزن اشتراط فيه أيضا السهولة والقافية

264- ابن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الساتر مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1، 1982م، ص 14.

265 - ينظر، عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، ص 184

266- ابن طباطبا، عيار الشعر، ص 22.

267 - قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق عبد المنعم خفاجي، دط، دار الكتاب العلمية بيروت- لبنان، دط، دت، ص 64.

الفصاحة.<sup>268</sup> وبذلك فهذا التعريف يظهر فيه التداخل بين الشكل والمضمون، وطبيعة الائتلاف بين عناصر الشعر: لا يتحقق إلا بتحقيق الجودة في الأسباب الأربعة:

1\* جودة ائتلاف اللفظ مع المعنى: ومن صور الجودة في ذلك:<sup>269</sup>

- المساواة: وهي أن يكون اللفظ على قدر المعنى دون زيادة ولا نقصان.

كقول امرئ القيس:

فإن تقتلوننا نقتلكم وإن تقصِدُوا لدم نقصدُ

-الإشارة: وتعني الكلام القليل الدال على المعنى الكثير. (اللفظ القليل المشتمل على معان كثيرة) كقول الشاعر:

هاج ذا القلب من تذكر جمل ... ما يهيج المتيم المحزوننا

فقد أشار هذا الشاعر بقوله: ما يهيج المتيم المحزوننا، إلى معان كثيرة.

-الإرداف: وهو أن يريد الشاعر معنى فلا يدل عليه بلفظه الخاص، بل بلفظ يدل معناه على ذلك المعنى الذي أراده ويسمى عند البلاغيين (الكنائية). كقول ابن أبي ربيعة

بعيدة مَهْوَى القُرْطِ إما لنوفل ... أبوها وإما عبد شمس وهاشم

-التمثيل: وهو أن يقدم الشاعر معناه بطريقة "ضرب المثل". (أي كان مقرباً فلا

يبعده). كقول الشاعر: ألم تَكُ في يُمْنِي يَدَيْكَ جَعَلْتَنِي فَلَ تَجْعَلَنِي بَعْدَهَا فِي شِمَالِكَا

2- الجودة في " ائتلاف اللفظ والوزن " ومن صور هذه الجودة:<sup>270</sup>

- أن يستخدم الشاعر الأسماء والأفعال تامة لا زيادة ولا نقصان.

- ألا يدفع الوزن الشاعر إلى تقديم ما حقه التأخير أو العكس.

- ألا يدفع الوزن الشاعر إلى إدخال معنى ليس بالكلام حاجة إليه، ولا إلى إسقاط معنى لا يتم الغرض من دونه.

268 - ينظر، مصطفى الجوزو، " نظريات الشعر عند العرب"، ج1، ص 198.

269 - ينظر، عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2000م، ص 211-212

<sup>270</sup> - ينظر، عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، ص 212

3- الجودة في ائتلاف المعنى والوزن: وتتحقق هذه الجودة بما يأتي:<sup>271</sup>

- أن تكون المعاني تامة مستوفاة لم تدفع الضرورة إلى نقصها أو زيادتها.

- أن تكون المعنى في صميم الغرض الذي أراده الشاعر ولم تجتلبها الضرورة.

4- الجودة في ائتلاف القافية مع دلالة سائر البيت:<sup>272</sup>

وأساس الجودة هنا أن معنى البيت هو الذي يستدعي القافية، وعلى الشاعر أيضا أن

يتجنب الرداءة في الأسباب الأربعة المفردة المكونة للشعر:

\*رداءة اللفظ: أن يكون ملحونا مجافيا لما يقتضيه الإعراب، أن يكون وحشيا قليل الاستعمال.

\*رداءة الوزن: وأظهر صور الرداءة هنا التخليع وهو أن تكثر الزحافات في القصيدة.

\*رداءة القوافي: ومن صور الرداءة هنا:

- التجميع: وهو أن تكون قافية الصدر في البيت الأول على روي ينبئ بأن تكون قافية

العجز موافقة له فتأتي مخالفة له .

- الإقواء: وهو أن تأتي قافية بيت مرفوعة وأخرى مخفوضة

- الإيطاء: وهو أن تتفق قافيتان في قصيدة واحدة لفظا ومعنى..

\*رداءة المعاني:<sup>273</sup>

- وقد تكون الرداءة من جهة صلتها بالأغراض الشعرية: مثل

- رداءة المدح: وأظهر صورها المدح بغير الفضائل النفسية التي هي خاصيات للإنسان.

- رداءة الهجاء: وأظهر صورها سلب المهجو أمورا لا تجانس الفضائل النفسية كأن يقال

هو قبيح الوجه أو صغير الحجم.

<sup>271</sup>- ينظر، عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، ص 212-213

<sup>272</sup>- ينظر، المرجع نفسه، ص 213-214

<sup>273</sup>- ينظر، عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، ص 214.

- رداءة المراثي: ويدل عليها ما جاء في صفات الجودة؛ إذ صفات الرداءة هنا تتمثل فيما ناقض صفات الخ.

وبذلك فقد حدد الناقد السمات الواجب توافرها في اللفظ منها: أن يكون سمحا سهل مخارج الحروف من مواضعها، وعليه رونق من الفصاحة الخالية من البشاعة، وألا يكون ملحونا أو جاريا على غير الإعراب واللغة، وحشيا قائما على المعاظلة التي تسلبه الرونق والجودة، أما الوزن يجب أن يكون سهل العروض فيه ترصيع، وألا يخرج عن العروض، وأما القافية فيجب أن تكون عذبة الحرف سلسلة المخرج، وعيوبها معروفة كالإقواء والإيطاء، والإسناد.<sup>274</sup>

وبذلك فقد اهتم الناقد بجانب الصياغة؛ أي طبيعة الصورة والشكل، وربط الإبداع بالإجادة في الصياغة، فالشاعر الحاذق من «يأتي بالمعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرا أو الكبير فيجعله بلفظه خسيسا»<sup>275</sup>. وبذلك فهو مهتم بصياغة المعاني والأفكار على اختلافها سلبا وإيجابا ويقر أنها أساس الجمال الأدبي<sup>276</sup>، وعليه فجمال الخطاب الشعري يعود إلى ذلك التلاحم بين اللفظ والمعنى.

#### قائمة المصادر والمراجع:

- 1- الجاحظ، الحيوان، ج3، تحقيق يحيى الشامي، دار ومكتبة الهلال، بيروت- لبنان، دط، دت.
- 2- الجاحظ، البيان والتبيين، مج1، قدم له وبوبه وشرحه علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر.
- 3- رفت التهامي، النقد الأدبي العربي القديم، دار النشر الدولي، الرياض، ط1، 2008.
- 4- شوقي ضيف، " البلاغة تطور وتاريخ"، دار المعارف، مصر- القاهرة، دط، 1965م.
- دط، 2012م .
- 5- ابن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الساتر مراجعة نعيم زرزور دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1982.

<sup>274</sup> - ينظر، عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، ص 207-208

<sup>275</sup> - قدامه بن جعفر، " نقد الشعر"، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 169.

<sup>276</sup> - ينظر، رفت التهامي، النقد الأدبي العربي القديم، ص 380.

6- ابن قتيبة، "الشعر والشعراء"، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط1،  
دت

7- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص  
169.

8- قصي الحسين، النقد الأدبي عند العرب واليونان معاملة وأعلامه، المؤسسة الحديثة للكتاب،  
طرابلس-لبنان، ط1، 2003.

9 - مصطفى الجوزو، "نظريات الشعر عند العرب"، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،  
1988.

10- عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2000م.

المحاضرة التاسعة: قضية اللفظ والمعنى عند نقاد المغرب والأندلس

توطئة:

اهتم نقاد المغرب والأندلس بهذه القضية نظرا لأهميتها في بناء العمل الإبداعي، وقد طرحوها في مصنفاتهم المختلفة، وحاولوا من خلال العرض والتحليل تحديد قيمة كل من اللفظ والمعنى في صياغة العمل الأدبي.

## 1- قضية اللفظ والمعنى عند نقاد المغرب:

طرح نقاد المغرب بدورهم هذه القضية في مصنفاتهم المختلفة، وحالوا صياغة تصورات هامة حول علاقتهما، وأهميتهما في العمل الإبداعي بعامته، والخطاب الشعر بخاصة، ومن بين النقاد نجد عبد الكريم النهشلي في كتابه "الممتع في عمل الشعر وعلمه"؛ إذ فضل اللفظ عن المعنى؛ إذ قال عنه ابن رشيق أنه كان يؤثر اللفظ على المعنى كثيرا في شعره وتأليفه وبخاصة أنه يرى أن المعاني اللطيفة إذا وجدت في القصيدة لا تغني عن الألفاظ الجزلة المعبرة، أما الألفاظ القوية المعبرة تغني عن المعاني الجميلة اللطيفة.<sup>277</sup>

أما الحصري (453هـ) يرى " ... أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ؛ لأن المعاني مبسطة إلى غاية وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني محصورة معدودة ومحصلة محدودة".<sup>278</sup> وهو حسب بشير خلدون يفرق بين الألفاظ والمعاني ويرى أن الإبداع في فن الشعر يتوقف على المعاني، ويعتمد عليها؛ لأنها تتجدد باستمرار فهي مبسطة إلى غير نهاية، أما الألفاظ فهي معروفة ومحدودة محصورة يستطيع كل واحد أن يطلع عليها ويستعملها في كلامه.<sup>279</sup>

أما "ابن رشيق" (456هـ) أن «اللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهُجُنة عليه، كما يعرض لبعض الجسم من العرج والشلل... من غير أن تذهب الروح، وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان اللفظ من ذلك أوفر، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح ... فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مَوَاتاً لا فائدة

<sup>277</sup> - ينظر، بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 172

<sup>278</sup> - الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، ج1، ص 108

<sup>279</sup> - بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 173.



فيه وإن كان حسن الطلاوة في السمع ... وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى لأن لا نجد روحاً في غير جسد البتة»<sup>280</sup>.

ونعائين من هذا النص النقدي أن "ابن رشيق" يقر بأهمية التعالق بين اللفظ والمعنى، وبين من خلال تحليله أهمية الارتباط الوثيق بين اللفظ والمعنى، لذلك شبه اللفظ بالجسم وشبه المعنى بالروح، والعلاقة بينهما قوية جداً تشبه العلاقة بين الجسد والروح، إذ لا يمكن وجود طرف دون آخر، وهذا التصور يجسد صعوبة الفصل بينهما في العملية الإبداعية.

كما أقر أن الشاعر متميز من ناحية الإحساس، وكذلك القدرة على انتقاء الألفاظ الرائقة القادرة على إخراج المعاني في صورة مستظرفة؛ إذ يقول: «... وإنما سمي الشاعر شاعراً، لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه أو استظراف لفظ وابتداعه أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني أو نقص مما أطله سواه من الألفاظ أو صرف معنى إلى وجه عن وجه آخر كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة ولم يكن له إلا فضل الوزن وليس بفضل عندي مع التقصير»<sup>281</sup>، وبذلك فابن رشيق يؤمن بالارتباط والتعالق، والانسجام بين اللفظ والمعنى لصياغة صور رائقة قادرة على تحقيق الفهم والإمتاع.

كما بين "ابن شرف" (460هـ) من خلال بعض تعليقاته عن العلاقة التلازمية بين اللفظ والمعنى؛ إذ يقول: "المعاني هي الأرواح والألفاظ أشباح فإن حسنا فذلك الخط الممدوح، وإن قبح أحدهما فلا يكن الروح"<sup>282</sup>. فهذا القول يعكس ضرورة التعالق بين اللفظ والمعنى.

## 2- قضية اللفظ والمعنى عند نقاد الأندلس:

نبه نقاد الأندلس على ضرورة مراعاة الدقة في اختيار الألفاظ المناسبة التي تكسب المعنى بهاء ورونقاً حتى يحقق الفاعلية التأثيرية، وقد تجلّى تصور ابن شهيد (ت426هـ) اتجاه هذه القضية من خلال عدة نصوص منها قوله: «وإنما يستحق اسم الصناعة بتفحيم

280 - ابن رشيق، "العمدة"، ج1، ص 124.

281 - المصدر نفسه، ص116.

282 - ابن شرف، أعلام الكلام، مطبعة النهضة، مصر، ط1، 1962 ص 28

بحور البيان وتعمد كرائم المعاني والكلام»<sup>283</sup>، ويتضح من خلال القول أنه يقر بضرورة التناسب والتعاليق بين اللفظ والمعنى، وبذلك فهو يسعى إلى صياغة صورة فنية متميزة من خلال ائتلاف اللفظ والمعنى، ويتضح هذا أيضا من خلال قوله: «فمن كانت نفسه في أصل تركيبه مستولية على جسمه كان مطبوعا روحانيا يطلع صور الكلام والمعاني في أجمل هيئاتها وأزواق لبساتها، ومن كان جسمه مستوليا على نفسه . من أصل تركيبه، والغالب على حسه كان ما يطلع من تلك الصور ناقصا عن الدرجة الأولى في الكمال والتمام وحُسْنِ الرُّؤْنِقِ والنظام، فمن كانت نفسه المستولية على جسمه. فقد تأتي منه في حسن النظام صور رائعة من الكلام تملأ القلوب، وتشعّف النفوس»<sup>284</sup>.

نعين من هذا النص النقدي أن الصورة لا تتحقق إلا من خلال المواءمة المزاجية بين الشكل والمضمون في سياق خاص، ومعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية.<sup>285</sup> كما أن «اللفظ الرائق والمعنى الرفيع بحيث يحصل من اجتماعهما البيان الذي طالما أشار إليه وحذر من تزويق اللفظ، وبهرجته»<sup>286</sup>. فاجتماع اللفظ الرائق والمعنى الرفيع يحققان البيان حسب تصوره؛ لا يمكن الفصل بينهما.

ويرى الجميري (ت442هـ) أن الخطاب لا يصل إلى مستوى الكمال إلا إذا جمع بين الألفاظ البديعة والمعاني الرفيعة<sup>287</sup>، ومن النماذج الشعرية التي وصلت إلى مستوى الكمال حسب تصوره قول ذي الوزارتين أبي عمر عباد في وصف ياسمينا فقال بديهة: (منسرح)

كَأَنَّمَا يَاسْمِينُنَا الْغَضُّ      كَوَاكِبُ فِي السَّمَاءِ تَبْيَضُّ  
وَالطَّرِيقُ الْحَمْرُ فِي جَوَانِبِهِ      كَخَدِّ عَذْرَاءٍ نَالَهُ عَضُّ

<sup>283</sup>- ابن بسام الشنتري، "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، مج 1، تحقيق سالم مصطفى البدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1998، ص 190.

<sup>284</sup>- المصدر نفسه، ص 144.

<sup>285</sup>- ينظر، صالح بشرى، "الصورة الشعرية في النقد الحديث"، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994م، ص 26.

<sup>286</sup>- رضوان الداية، "تاريخ النقد الأدبي في الأندلس"، ص 304.

<sup>287</sup>- الجميري (إسماعيل بن عامر أبو الوليد)، "البديع في وصف الربيع"، صححه هنري بيريس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد، ط1، 2002م، ص 88.

فالشاعر حسب الحميري «شبه النور بالكواكب، وخضرة ورقه بخضرة السماء، ولم أسمع لأحد قبله، وصف حُمَرتَه، وهي تكثر عند قلة الياسمين في زمن الشتاء وتقل عند كثرتَه»<sup>288</sup> وعليه فالمواءمة بين اللفظ والمعنى، والمزوجة بين اللفظ الدال على المعنى المراد يمنح الكمال والانسجام للخطاب الشعري عند الحميري، وهذا تأكيد للصلة ووشيح النسب بينهما.

وترتبط قضية اللفظ والمعنى عند ابن حزم (ت 456هـ) بأرائه في المنطق والفلسفة فاللغة عنده هي «ألفاظ يعبر بها عن المعاني...»<sup>289</sup> ومادامت الألفاظ هي التي تحمل المعنى، وتنقله إلى المتلقي فيرى ضرورة الإطلاع على علم النحو دون التعمق، «وأقل ما يجزئ من النحو كتاب الواضح للزبيدي، أو ما نحاه نحوه كالموجز لابن سراج»<sup>290</sup>. وبذلك فابن حزم يقر بأن اللغة الدقيقة يمكن أن تنقل الأفكار بطريقة واضحة، وهذا ما يحقق الفاعلية الإفهامية، والوظيفة التأثيرية، والنص عنده لا يمكن أن نحليه بصفة الوضوح إلا من خلال توافق ألفاظه مع معانيه، وهذا ما تجلّى في قوله: «وثبت في العقول أنه لا بيان إلا بالألفاظ المعبرة عن المعاني التي أوقعت عليها اللغة»<sup>291</sup> فالشاعر عليه أن يختار الألفاظ الدالة على المعنى تجنباً لأي غموض، وبهذا فهو قد أدرك قوة التلازم بين الألفاظ والمعاني، فأقر بأن أي تغيير يعتري اللفظ سيتبعه بالضرورة تغيير في المعنى لهذا استحسن الإطلاع على علم النحو نظراً لأهميته ودوره في «معرفة تنقل هجاء اللفظ، وتنقل حركاته الذي يدل كل ذلك على اختلاف المعاني...»<sup>292</sup>.

ويبدو أن الأعلام (ت 476هـ) أيضاً يقر بفكرة التعالق والالتحام بين اللفظ والمعنى، ويتضح ذلك من قوله: «وفائدة الشعر معرفة لغته، ومعناه، وإلا فالراوي له كالناطق بما لا يفهم، والعامل بما لا يعلم»<sup>293</sup> وبذلك فالأعلام يقر بضرورة توافر الجودة في كليهما؛ أي اللفظ

<sup>288</sup> - المصدر نفسه، ص 91.

<sup>289</sup> - رسائل ابن حزم، ج 4، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط 1، 1983م، ص 66.

<sup>290</sup> - المصدر نفسه، ص 65 - 66.

<sup>291</sup> - رسائل ابن حزم، ج 4، ص 282.

<sup>292</sup> - المصدر نفسه، ص 66.

<sup>293</sup> - يوسف الأعلام الشنتمري، "شعر زهير بن أبي سلمى"، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر بيروت - لبنان، دط، 2002م، ص 6.

والمعنى؛ فالملتقي إذا أدرك نوعية الألفاظ المستخدمة، وفهم المعاني التي توحى بها هذه الألفاظ يمكن أن يبدع، ويمكن لخطابه الشعري أن يحقق الفائدة؛ أي الفاعلية التأثيرية والإفهامية في الوقت نفسه.

وقد أقر الحميدي (ت 488هـ) أيضا بأن المبدع إذا أراد أن يصل إلى درجة الإتقان في صناعته فعليه أن «يراعي ألفاظه ويقارن بين كلماته، وينظم أشتات معانيه على رُتبها فإن للحروف أنسابا وقربايات تبدو إليك في الكلمات، فإذا جاور النسب النسب، ومازج القريب القريب طابت الألفة وحسنت الصحبة وإذا رُكبت صور الكلام على ذلك النظام راقى المناظر...»<sup>294</sup> إن "الحميدي" بحسه النقدي تنبه إلى صعوبة اختيار الألفاظ لذلك يرى ضرورة مراعاتها؛ لأن الألفاظ في الخطاب الفني تتعلق ببعضها البعض، وهذا التعلق له أهمية دلالية وجمالية في الوقت نفسه.

أما ابن بسام (ت 542هـ) فيصف اختلال العلاقة بين اللفظ والمعنى بالبرودة، ويتجلى هذا في تعليقه على شعر أبي الربيع سليمان القضاعي بقوله: «وقد خرج إلى ذكر الجماعة بوصف غير رائق استبرد فيه، ورأيت ألا أكون ممن يرويه»<sup>295</sup>. وربما قصد بمصطلح "استبرد" قصور الألفاظ عن تقديم صورة لائقة للجماعة، وهذا يعني أن المبدع إذ استطاع تحقيق التجانس والتعالق بين اللفظ والمعنى يمكن أن يبدع صورة لائقة لأي تيمة يريد لها. وبذلك يمكن القول إن لكل معنى لفظه اللائق به، وهذا يعد إشارة منه إلى أن "التناسب في الألفاظ والمعاني حبل يتصل، ولا ينفصل"<sup>296</sup>.

وأشار ابن السراج (ت 549هـ) إلى قضية اللفظ والمعنى في سياق حديثه عن البلاغة؛ إذ يقول: «والبلاغة ألفاظ، ومعان هي من الألفاظ بمنزلة الروح من الجسد لا تتم البلاغة إلا بصحتهما»<sup>297</sup>، فالألفاظ والمعاني لهما أهمية كبيرة في الخطابات سواء أكانت الشعرية أم

<sup>294</sup>- الحميدي (أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله)، "تسهيل السبيل إلى تعلم الترسل"، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت / جمهورية ألمانيا الاتحادية، طبع بالتصوير عن مخطوطة أحمد الثالث 2351 مكتبة طوب قابو سراي استانبول، ص 16-17.

<sup>295</sup>- ابن بسام "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، مج 3، ص 354.

<sup>296</sup>- ابن بسام "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، مج 2، ص 226.

<sup>297</sup>- ابن السراج (محمد بن عبد الملك الشنتري الأندلسي)، "جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب"، ج 1، تحقيق محمد حسن قزقران، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، دط، 2008م، ص 298.

النثرية، وحسب رأيه اللفظ والمعنى مترابطان كترابط الروح والجسد، فلا يمكن الفصل بينهما، وهو متأثر في هذه الفكرة بابن رشيق.

كما أقر ابن خيرة المواعيني (ت 564هـ) بدوره بضرورة التعالق والانسجام بين اللفظ والمعنى في العملية الإبداعية، فالمبدع حسب تصوره ينبغي «أن يعبر بالألفاظ البينة عن المعاني العلوية فتتفتق عنها أنوار الحكمة والأسرار الحقيقية بحسب إدراك العقل وطموح في الهمة»<sup>298</sup>. فهو يؤكد على ضرورة التناسب بين الألفاظ والمعاني فالمبدع عليه أن «يخيط الألفاظ على قدود المعاني»<sup>299</sup>، وقد أورد هذا القول لابن المعتز ليؤيد رأيه، لأن اللفظ هو حامل المعنى، هذا الأخير الذي يكون له وقع خاص على وجدان المتلقي، لذا أوجب ضرورة صقل الألفاظ لإخراج المعاني في أبهى صورة.

وتأسيساً على ما سبق نلاحظ أن كل ناقد طرح هذه القضية حسب منطلقاته، وقناعاته، ولكن يمكن القول إنهم كانوا على دراية تامة بأهمية كل من اللفظ والمعنى في صياغة العمل الأدبي؛ إذ لا يمكن أن يستقيم النص دون مراعاة هذين العنصرين في نظم الخطاب الشعري..

#### - المصادر والمراجع المعتمدة:

1- ابن بسام الشنتري، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مج 1، تحقيق سالم مصطفى البدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1998

2- بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

3- ابن حزم، رسائله، ج 4، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1983 م.

4- الحصري القيرواني، إبراهيم بن علي، زهر الآداب وثمر الألباب، قدم له وشرحه ووضع فهارسه الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، دط، 2011 م.

---

298- ابن خيرة المواعيني، "ريحان الألباب وريعان الشباب في مراتب الآداب"، تحقيق وتقديم مصطفى الحيا، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، 1988. 1989 م، 130.

299- المصدر نفسه، ص 132.

5- الحميدي (أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله)، "تسهيل السبيل إلى تعلم الترسيل"، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت / جمهورية ألمانيا الاتحادية طبع بالتصوير عن مخطوطة أحمد الثالث 2351 مكتبة طوب قابو سراي استانبول.

6- الجُميري (إسماعيل بن عامر أبو الوليد)، البديع في وصف الربيع، صححه هنري بيريس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد، ط1، 2002م.

7- ابن خيرة المواعيني، ربحان الألباب وريعان الشباب في مراتب الآداب، تحقيق وتقديم مصطفى الحيا، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، 1988.1989م.

8- ابن رشيق (أبو الحسن) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، دط، دت.

9- ابن السراج (محمد بن عبد الملك الشنتريني الأندلسي)، "جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب"، ج1، تحقيق محمد حسن قزقزان، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، دط، 2008م، ص 298.

10- ابن شرف القيرواني (أبو عبد الله محمد)، أعلام الكلام، مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز، مصر، ط1، 1926م.

11- صالح بشرى، الصورة الشعرية في النقد الحديث، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994م

12- يوسف الأعلام الشنتمري، "شعر زهير بن أبي سلمى"، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر بيروت - لبنان، دط، 2002م.

## المحاضرة العاشرة: قضية الصدق.

### توطئة:

وردت معاني كلمة الصدق على أنها ما يناقض الكذب، فقد ورد في لسان العرب أن "الصدق ضدُّ الكذب، صَدَقَ يَصْدُقُ صِدْقًا وَصِدْقًا وَتَصَدَّقًا، وَصَدَّقَهُ: قَبِلَ قَوْلَهُ، وَصَدَّقَهُ الْحَدِيثَ: أَنْبَأَهُ بِالصِّدْقِ، وَيُقَالُ: صَدَّقْتُ الْقَوْمَ. أَي: قَلْتُ لَهُمْ صِدْقًا"<sup>300</sup>.

وقال الراغب الأصفهاني الصدق بمعنى "مطابقة القول الضمير والمُخْبَر عنه معا، ومتى انخرم شرطٌ من ذلك لم يكن صدقا تاما، بل إما ألا يُوصف بالصدق، وإما أن يُوصف تارةً بالصدق وتارةً بالكذب على نظرين مختلفين ..."<sup>301</sup>. ونعائين من هذه التعريفات اللغوية أن الصدق ضد الكذب.

أما الصدق في الشعر هو "أن يشرع الشاعر في نظم قصيدته مسترسلا دون انقطاع أو إحجام عن جعل المعاني والكلمات تسوق أنفسها بما يقع في ضميره من حقيقة إحساسه بالموضوع الذي بعثه إلى إنشاء الشعر، وإخبار الناس بما في ضميره بالصورة التي أمكنه أن يأتي بها على أحسن ما تأتي به موهبته وخبرته؛ أي أن يُوفى اللحظة الشعرية حقها"<sup>302</sup>. وهذا يعني أن الشاعر بإمكانه إخراج ما بداخله دون مراعاة قضية الكذب، فبيت القصيد في هذه العملية إعطاء اللحظة الشعرية حقها مهما كانت طبيعتها؛ لأنه "ليس من الضروري أن تكون التجربة الشعرية واقعية، وليس من واجب الشاعر أن يكون صادقا، وقد قيل لبعض الفلاسفة: أن فلانا يكذب كثيرا في شعره. فقال: إنما يطلب من الشاعر الكلام الحسن اللذيذ، وأما الصدق فإنه يطلب من الأنبياء"<sup>303</sup>. وقد أقرت "هند حسين طه" أن الصدق والكذب الفني عبارة أطلقها القدماء على المطابقة للواقع، وعدمه لذا فالصدق والكذب إنما يقع في المعاني لا يقع في الألفاظ.<sup>304</sup>

<sup>300</sup> - ابن منظور، لسان العرب، مج 10، دار صادر بيروت، دط، دت، ص 193 (مادة صدق)

<sup>301</sup> - الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد)، المفردات في غريب القرآن، ج1، تم التحقيق بمكتبة نزار مصطفى الباز، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز، دط، دت، ص 364.

<sup>302</sup> - الجوهرة بنت بخيت آل جهجاه، تجليات التشكيل النقدي لنظرية الصدق في النقد العربي القديم، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض <https://down.ketabpedia.com/files/bkb/bkb-ar05509-ketabpedia.com.pdf>، ص 14.

<sup>303</sup> - هند حسين طه، النظرية النقدية عند العرب، دار الرشيد للنشر، مشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دط، 1981، ص 191.

<sup>304</sup> - هند حسين طه، النظرية النقدية عند العرب، ص 191

- موقف النقاد من قضية الصدق: تطرق النقد في العصر الجاهلي إلى الغلو في المبالغة وعدها من عيوب الشعر؛ فالمبالغة عندهم تفسد المعنى وتنافي الصدق. والشواهد على هذه القضية كثيرة منها:

1- عابت العرب على المهلهل بن ربيعة الغلو في القول بادعاء ما هو ممتنع عقلا وعادة، وذلك في قوله:<sup>305</sup>  
فلولا الريح أُسمع من بحجر صليل البيض تُقرع بالذكور

وبين حجرٍ وعُنيزة محل الواقعة مسيرة أيام، فهذه المبالغات المغرفة تفسد المعنى، وقد عد بسبب إكثاره من الغلو في شعره أول من كذب في شعره، وقد تأثر به امرؤ القيس في قوله:

تنورتها من أذرعات وأهلها بيثرب أدنى دارها نظراً عالٍ

ولكن المهلهل كان أشد غلوا من امرئ القيس.<sup>306</sup>

1- يروى أن رجلا قال لزهير بن أبي سلمى: "إني سمعتك تقول لهرم بن سنان:

وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ أُسَامَةَ إِذْ دُعِيتُ: نَزَالَ<sup>307</sup> وَلُجَّ فِي الدُّعْرِ

وأنت لا تكذب في شعرك، فكيف جعلته أشجع من الأسد؟ فقال: إني رأيتُه فتح مدينة وحده، وما رأيت أسدا فتحها قط"<sup>308</sup>. وقال ابن رشيق: "فقد خرج لنفسه طريقا إلى الصدق"<sup>309</sup> ومما يؤكد هذا الخبر وجهة نظر الجاهليين إلى المبالغة أنها تفسد المعنى، وتخرجه عن العرف والتقليد المتبع، وتنافي الصدق الذي لا بد للشاعر أن يتحلى به.<sup>310</sup>

<sup>305</sup> - ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده، ج2، قدم له وشرحه صلاح الدين الهواري، وهدي عودة، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، دط، 2002، ص 101.

<sup>306</sup> - عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 24.

<sup>307</sup> - ونزال: اسم فعل أمر بمعنى انزلوا عن الخيل. ولج في الدعر: عظم وازداد على الناس الفزع واللجاج في الشيء، أي التماذي فيه. يريد: تتابع الناس في الدعر، والبيت من قصيدة طويلة يمدح فيها الهرم بن سنان.

<sup>308</sup> - ابن رشيق، ج1، العمدة، ص 173.

<sup>309</sup> - المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

<sup>310</sup> - ينظر، عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 25.



وعليه فالغلو يبعد عنصر الصدق عن الخطاب الشعري الذي يعد من أهم العناصر النقدية التي ظهرت في العصر الجاهلي؛ لأن هذه الحقبة تمتاز بالفطرة السليمة والبساطة، لذلك نجد الذوق العربي قد مجَّ المبالغة ورفضها.

وقد طرح النقاد القدماء قضية الصدق والكذب "فمنهم من ربط الشعر الحق بالصدق ونفى عنه الكذب ومنهم من جعل الكذب سببا لرفض الشعر... ومنهم من اشتق لنفسه طريقا وسطا"<sup>311</sup>، وقد عالجوها معالجة تتناسب والظروف التاريخية والحضارية واهتموا ببحث الإغراق والمبالغة في الصورة الشعرية وارتباطها الوثيق بقضية الطبع والصنعة والتصنع لما في الأخير من مبالغة وابتعاد عن الواقع، وهذا يتنافى مع الصدق الذي هو مطابقة الواقع.<sup>312</sup> والصدق قد يكون صدقا واقعيا، وقد يكون صدقا فنيا، أما الصدق الواقعي يراد به الوقوف عند حدود الأخلاق والمواصفات الاجتماعية السائدة، وبذلك يكون صدق الشاعر صدقا مرده العرف الاجتماعي. أما الصدق الفني فهو أصالة الكاتب في تعبيره، فالشاعر يعبر عن إحساسه ولكنه كذب أو ليس بصدق من الناحية الواقعية، أو الأخلاقية نحو قلبي يحترق أو زيد أسد...<sup>313</sup> فما هو موقف النقاد القدامى من هذه القضية؟

وقد تجلت قضية الصدق عند "ابن سلام" من خلال حديثه عن شعر الرثاء؛ إذ ربط الصدق بواقعية العاطفة، وقصرها على الشاعر الذي خاض التجربة الشعرية. ووجد منها الشاعر الذي لم ينظر إلى الواقع والحقيقة المطلقة، وهذا ما يبعده عن الصدق الواقعي لابتعاد الشعور الحقيقي عنه.<sup>314</sup> أما الجاحظ يميل إلى الواقعية الأدبية، وعدم المبالغة، والإفراط في الصورة الشعرية، وتجلى ذلك من خلال كلامه عن المدح، فهو يحبذ أن يخاطب الشاعر الممدوح حسب ما يقتضيه المقام، وهذا يعكس ميله للصدق الفني، وعدم التمسك بالصدق الواقعي، وعليه فهو يدعو الشاعر في فن المديح إلى صياغة الصفات العامة التي ينبغي تحققها في الموصوف لا الصفات الذاتية الخاصة به.<sup>315</sup> وبذلك فالجاحظ لا يلزم الشاعر بالصدق الواقعي، بل فضل التفوق الفني، واقتدار الشاعر على صناعة الخطاب الشعري، صياغته بطريقة راقية، وهذا ما يحقق له التجويد، وهذا يتحقق للشاعر الحاذق، وهذا ما أقره قدامة بن جعفر بقول: "إن مناقضة الشاعر نفسه في قصدين أو كلمتين، بأن

<sup>311</sup> - إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 34.

<sup>312</sup> - هند حسين طه، النظرية النقدية عند العرب، ص 195.

<sup>313</sup> - ينظر، المرجع نفسه، ص 195-196.

<sup>314</sup> - ينظر، م ن، ص 198.

<sup>315</sup> - ينظر، م ن، 198-199.

يصف شيئاً وصفاً حسناً ثم يذمه بعد ذلك ذماً حسناً بيناً غير منكر عليه، ولا معيب من فعله، إذا أحسن المدح والذم، بل ذلك عندي يدل على قوة الشاعر في صناعته واقتداره عليها<sup>316</sup>، فالشاعر عند قدامه لا يطلب منه أن يكون صادقاً، بل يراد منه إذا أخذ في معنى من المعاني أن يجيده وفي وقته لا أن ينسخ ما قاله في وقت آخر.<sup>317</sup>

ويعد ابن طباطبا - 322هـ- حسب إحسان عباس أول من أثار القضية بوضوح حاسم، فقد ربط الشعر الحق بالصدق من النواحي المختلفة: الصدق في التشبيه، والصدق في الشاعر والصدق في القصيدة...<sup>318</sup> فالعقل حسب تصور ابن طباطبا لا يطمئن إلا للصدق وينفر من الخطأ في اللفظ والجور في التركيب، والبطلان في المعنى، أي لا بد من تحقيق التناسب بين هذه العناصر، ويحاول ابن طباطبا أن يقسم الصدق إلى ضروب:<sup>319</sup>

- أن يكون الشاعر صادقاً عن ذات نفسه، ويكشف عما يختلج فيها، وهذا هو الصدق الفني أي صدق الشاعر في التعبير عن تجربته.

- الصدق التاريخي حين يقص خبر.

- الصدق الأخلاقي فلا ينسب الجبن إلى الشجاع، ولا يسي الكريم بخيلاً.

- صدق التشبيه: وتجلى ذلك في قوله: «...فشبهت العرب الشيء بمثله تشبيهاً صادقاً على ما ذهبت إليه في معانيها التي أرادت»<sup>320</sup>. وقوله أيضاً: «فأحسن التشبيهات ما إذا عكس لم ينتقص، بل يكون كل مشبه بصاحبه مثل صاحبه ويكون صاحبه مثله متشبهاً به صورة ومعنى»<sup>321</sup>.

كما أن التشبيهات عنده على ضروب مختلفة. منها: "تشبيه الشيء بالشيء صورة، وهيئة، ومنها تشبيهه به معنى، ومنها تشبيهه به حركة، وبطناً وسرعة، ومنها تشبيهه به لونا، ومنها تشبيهه به صوتاً وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض، فإذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان أو ثلاثة معان من

<sup>316</sup>- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، دط، دت، ص 66.

<sup>317</sup>- ينظر، المصدر نفسه، ص 68.

<sup>318</sup>- ينظر، إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 34.

<sup>319</sup>- ينظر، ابن طباطبا، عيار الشعر، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2، 2005، ص 22، 48.

<sup>320</sup>- المصدر نفسه، ص 17.

<sup>321</sup>- م ن، ص 17.

هذه الأوصاف قوي التشبيه وتؤكد الصدق فيه...<sup>322</sup> وعليه فقد تعددت أنماط التشبيه، وكلما تعددت وجوه الشبه بين المشبه والمشبه به تجلى صدقه أكثر وحسن به، وعليه فالصدق عند ابن طباطبا هو الذي يحقق للشاعر صدق التجربة، وبذلك فالصدق عند ابن طباطبا كلمة ذات دلالات مختلفة، وعلى هذا فإنها في القصيدة تحد من قوة الخيال.<sup>323</sup> أما عبد القاهر الجرجاني يقر بوجود التخييل أو التمويه.<sup>324</sup>

أما قدامة بن جعفر يقر أن فحاشة المعنى في نفسه لا تزيل جودة الشعر فيه، فالشاعر حسب تصوره "إذا شرع في أي معنى -كان- من الرفعة والضعة، والرفث، والنزاهة، والبذخ والقناعة والمدح وغير ذلك من المعاني الحميدة أو الذميمة، أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة"<sup>325</sup> فالشاعر عند قدامه لا يراد منه الصدق إنما تحقيق التجويد في الصناعة الشعرية، فالمعاني حسب قوله "معرضة للشاعر وله أن يتكلم منها في ما أحب وأثر من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة والشعر فيها كالصورة، كما يوجد في كل صناعة"<sup>326</sup>. فالشاعر عند قدامه لا يطلب منه أن يكون صادقاً، بل يراد منه إذا أخذ في معنى من المعاني أن يجيده وفي وقته لا أن ينسخ ما قاله في وقت آخر.<sup>327</sup> وبذلك فقدامة لا يقيد الشاعر بقضية الصدق والكذب وإنما يقيده بالتجويد في الصناعة الشعرية.

ويقر ابن رشيقي بدوره أن الكذب مستحب في الشعر، وتجلي ذلك في قوله: «ومن فضائله أن الكذب- الذي اجتمع الناس على قبحه- حسنٌ فيه، وحسبك ما حسن الكذب واغتفر له قبحه»<sup>328</sup>، وذكر ابن حزم في رسالته "التقريب لحدود المنطق" بعض الأغراض التي تصدر عن الصدق الحقيقي كشعر الحكم والمواعظ، ومدح الرسول P أما ما عدا ذلك فيصدق عليه قول بعض الحكماء «كل

<sup>322</sup> - ابن طباطبا، عيار الشعر، ص 23.

<sup>323</sup> - ينظر، إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 34.

<sup>324</sup> - ينظر، المرجع نفسه، ص 35.

<sup>325</sup> - قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص 65-66.

<sup>326</sup> - المصدر نفسه، ص 65.

<sup>327</sup> - ينظر، م ن، ص 68.

<sup>328</sup> - ابن رشيقي، العمدة، ج1، ص 33.

شيء يزينه الصدق إلا الساعي والشاعر فإن الصدق يشينهما فحسبك بما تسمع».<sup>329</sup> وقد أورد ابن حزم مثالا شعريا تحرى فيه صاحبه الصدق فقال:

اللَّيْلُ لَيْلًا وَالتَّهَارُ تَهَارًا      وَالْبَغْلُ بَغْلًا وَالْجِمَارُ جِمَارًا

وَالدَّيْكَ دَيْكًا وَالْحَمَامَةُ مِثْلُهُ      وَكِلَاهُمَا طَيْرًا لَهُ مِنْقَارُ

وبعد أن أورد هذه الأبيات أقر أنه «صار في نصاب من يهزأ به ويسخر منه ويدخل في المضاحك»<sup>330</sup> فالشاعر حسب ابن حزم التزم بالصدق التام حتى أصبح موضع سخرية واستهزاء، ففي أبيات تحرى فيها صاحبا الصدق الحقيقي، وهو أبعد ما يكون عن روح الإبداع الفني؛ لأن الشعر عادة يجنح إلى التعريض والتلميح ويتعد عن التصريح، أما إذا كذب القائل وأعرض مثل:

أَلِفَ السَّقْمُ جِسْمَهُ وَالْأَيْنُنُ      وَبَرَاهُ الْهَوَىٰ فَمَا يَسْتَبِينُ

لَا تَرَاهُ الظُّنُونُ إِلَّا ظُنُونًا      وَهُوَ أَخْفَىٰ مِنْ أَنْ تَرَاهُ الظُّنُونُ

قَدْ سَمِعْنَا أُنَيْنَهُ مِنْ قَرِيبٍ      فَاطْلُبُوا الشَّخْصَ حَيْثُ كَانَ الْأَيْنُنُ

لَمْ يَعِشْ إِنَّهُ جَلِيدٌ وَلَكِنْ      ذَابَ سُقْمًا فَلَمْ تَجِدْهُ الْمُنُونُ

وقد علق عليه ابن حزم بقوله: «ملح وحمق»<sup>331</sup>. فهذا التعليق يدل على أن الناقد يفضل الشعر الذي يجمع بين براعة التعبير واعتدال الخيال، والبعد عن الغلو، والإغراق والمبالغة التي تحقق التنافر.

ويحكم عبد الغفور الكلاعي (ت542هـ) على الشعر بالصدق بمدى مطابقته للحق أو عدم مطابقته له، فما حاكى الحق، والصدق منه فهو الشعر الحسن الذي يحبذه ويفضله؛ وبذلك فخير الشعر عنده ما دعا إلى الفضائل، واستل الضغائن، والأحقاد من القلوب وأبدلها مودة وأخوة، وأخبث الشعر ما انتهك أعراض الناس وتكسب به صاحبه<sup>332</sup>.

<sup>329</sup> - رسائل ابن حزم، ج4، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط1 1983م، ص 345.

<sup>330</sup> - المصدر نفسه، ص 345.

<sup>331</sup> - المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

<sup>332</sup> - ينظر، عبد الغفور الكلاعي، إحكام صنعة الكلام، حققه وقدم له محمد رضوان الداية، عالم الكتب، ط2، 1975م، ص 45-46.

أما ابن خيرة المواعيني(ت 564هـ) فقد أقر بأهمية الصدق الأخلاقي في العمل الإبداعي، ورفض الغلو الذي يقود بدوره إلى الغموض السلبي، ويستدل على أهمية الصدق بحديث هريرة رضي الله عنه الذي يشير فيه إلى قول الرسول P: «أصدق كلمة قالتها العرب قول لبيد:(الطويل)

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ

فأحسن الشعر عنده «وما أشبهه هو الشعر الذي منه حكمة...»<sup>333</sup>، ولكن ابن خفاجة يرى أن الشعر يقصد فيه التخييل، وليس القصد فيه الصدق، ولا يعاب فيه الكذب، ويتضح هذا من قوله: «يُستجاز في صناعة الشعر لا في صناعة النثر أن يقول القائل فيه "إني فعلت" و"إني صنعت" من غير أن يكون وراء ذلك حقيقة»<sup>334</sup>، فالشاعر بإمكانه أن يدعي في شعره، ويخترع الصور ليظهر براعته الفنية.

أما حازم القرطاجني فيرى أن «أفضل الشعر ما حسنت محاكاته، وهيئته، وقويت شهرته، أو صدقه، أو خفي كذبه، وقامت غرابته، وإن كان قد يعد حذقاً للشاعر اقتداره على ترويح الكذب، وتمويهه على النفس بمجموع ذلك "...."»<sup>335</sup>. ونعائين من خلا النص أنه يفضل شهرة الصدق، وخفاء الكذب، ولكن هذا لا يعني أنه عد الكذب مفسداً للشعر، بل أقر أن الكذب من جهة الصناعة محبب، أما الكذب الإفراطي معيب في الشعر، وبخاصة إذا خرج الشاعر عن حدود الإمكان إلى حيز الاستحالة.<sup>336</sup>

وأخيراً يمكن القول إن النقاد اختلفوا في تصوراتهم فمنهم من يؤكد على قضية الصدق في الإبداع، ومنهم يرى أن الالتزام بالصدق يحد من القدرة الخيالية لدى الشاعر، ولكن يبقى الاعتدال، وعدم الإفراط هو الذي يقود إلى حسن الصياغة والتصوير، ويحقق المسلك الجمالي.

#### - المصادر والمراجع المعتمدة:

<sup>333</sup>- ابن خيرة المواعيني، ربحان الألباب وربعان الشباب في مراتب الآداب، تحقيق وتقديم مصطفى الحيا، رسالة لنيل دبلوم=الدراسات العليا في الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، 1988.1989م. ص 36.

<sup>334</sup>- ابن خفاجة الديوان، تحقيق السيد غازي، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط2، دت.ص 10.

<sup>335</sup> - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط3، 1986. ص71.

<sup>336</sup>- ينظر، محمد أديوان، قضايا النقد الأدبي عند حازم القرطاجني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2004، ص 171.

- 1- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده، ج2، قدم له وشرحه صلاح الدين الهوارى،  
وهدى عودة، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، دط، 2002.
- 2- الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد)، المفردات في غريب القرآن، ج1، تم التحقيق  
بمكتبة نزار مصطفى الباز، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز، دط، دت
- 3- ابن حزم، رسائله، ج4، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت  
ط1 1983 م .
- 4- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن  
الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط3، 1986.
- 5- الجوهرة بنت بخيت آل جهجاه، تجليات التشكيل النقدي لنظرية الصدق في النقد العربي القديم،  
جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض -  
<https://down.ketabpedia.com/files/bkb/bkb-ar05509-ketabpedia.com.pdf>
- 6- ابن خيرة المواعيني، ریحان الألباب وریعان الشباب في مراتب الآداب، تحقيق وتقديم  
مصطفى الحيا، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم  
الإنسانية الرباط، 1988. 1989 م.
- 7- ابن خفاجة الديوان، تحقيق السيد غازي، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط2، دت.
- 8- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت-  
لبنان، دط، دت.
- 9- ابن طباطبا، عيار الشعر، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 2005.

عبد الغفور الكلاعي، إحكام صنعة الكلام، حققه وقدم له محمد رضوان الداية، عالم الكتب، ط2، 1975 م.

10- هند حسين طه، النظرية النقدية عند العرب، دار الرشيد للنشر، مشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دط، 1981.

11- محمد أديوان، قضايا النقد الأدبي عند حازم القرطاجني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2004.

12- ابن منظور، لسان العرب، مج 10، دار صادر بيروت، دط، دت.

\* المحاضرة الحادية عشر: الموازنات النقدية

توطئة:

ورد في لسان العرب أنه " : يقال وازنت بين الشئين موازنة ووزانا وهذا يُوازن هذا إذا كان على زنته أو كان مُحاذيه... ويقال وزن الشئ إذا قدره"<sup>337</sup>. وقد ورد لفظ الموازنة في فصيح الكلام في معنى الموازنة بين شئين ثم يستتبع ذلك الترجيح بينهما، قال أبو طالب في الخطبة التي قام بها في زواج النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة (رضي الله عنها) يصف النبي ويزكيه: " لا يُؤزَنُ به فتى من قريش إلا رَجَحَ به "<sup>338</sup>.

وهذا يعني أن من معاني "الوزن": الرُّجْحان والتقدير تقول وَزَنَ الشئ إذا رَجَحَ، ووزَنَ الشئ: قَدَرَهُ. وإلى هذا المعنى الأخير يرجع مصطلح "الموازنة في مجال النقد الأدبي؛ لأن الناقد المُوازِن يضع الشاعر إزاء الشاعر ثم يرجح بينهما ويفاضل، ويفعل ذلك حين يضع القصيدة، أو المعنى إزاء المعنى، أو البيت إزاء البيت وغايته في كل ذلك التقدير والترجيح."<sup>339</sup>

وأول من استعمل هذا المصطلح بمعناه النقدي هو الجاحظ (255هـ)، وتجلى ذلك في ثنايا كتاب الحيوان؛ كقوله: "...لذِكْر محاسنهما ومساوئهما والموازنة بينهما والتنويه بذكرهما"<sup>340</sup>، يعني الكلب والديك، وغيرها من المواضع التي استخدم فيها لفظ الموازنة بمعنى الترجيح.

وبعد المعركة التي قامت بين الفريقين، فريق شعر الديباجة البحثية، والفريق المناصر لتجديد أبي تمام وبديعه، ظهر الأمدى (371هـ) ليحقق للموازنات معناها الموضوعي والشامل، ربما لأول مرة في النقد القديم<sup>341</sup>، إذ جعل من اللفظ عنوانا لكتابه، وصيره منهجا في الحديث عن شعر الطائيين: البحري وأبي تمام؛ إذ يقول: "...وأوزان بين معنى ومعنى، وأقول أيهما أشعر في ذلك المعنى بعينه"<sup>342</sup>. وبعد ذلك استخدم النقاد هذا اللفظ في طروحاتهم النقدية نحو: الباقلائي (403هـ) وعبد القاهر الجرجاني (471هـ) وغيرهما.

وقد استعمل نقاد الشعر والعلماء قبل الجاحظ بدلا من لفظ الموازنة ألفاظا أخرى في معناها، وأشهر هذه الألفاظ أربعة ألفاظ: لفظ "المفاضلة"، ولفظ "الحكومة"، ولفظ "الحُكم"، ولفظ

<sup>337</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج13، دار صادر بيروت، دط، دت، ص 448. مادة(وزن)

<sup>338</sup> - ينظر، كمال الباقي لاشين، الموازنات الشعرية في النقد العربي القديم، دار البصائر، مصر، ط1، 2007. ص 23.

<sup>339</sup> - ينظر، المرجع نفسه، ص 24.

<sup>340</sup> - الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، الحيوان، ج2، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط2، 1965، ص 200.

<sup>341</sup> - ينظر، رفعت التهامي، النقد الأدبي العربي القديم، دار النشر الدولي، الرياض، ط1، 2008، ص 272.

<sup>342</sup> - الأمدى، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري، ج1، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط4، دت، ص 410.



"القضاء" ومعاني هذه الألفاظ جميعا متشابهة، فالمفاضلة تعني التفضيل والتقديم، والحكومة وما بعدها معناها الفصل بين المتخصصين، وهذا الفصل منتهٍ لا محالةً إلى معنى التفضيل.<sup>343</sup>

ونجد أنهم يستعملون لفظ "الحكومة" ولفظي "الحكم" و"القضاء" عند المخاصمة والممارسة؛ أي: عندما يتمارى شاعران أو أكثر، فكل يدعي أنه أشعر من صاحبه، أو يتمارى قوم في شاعرين، أو كل يدعي لشاعره التقدم، فيحتاج إلى من يحسم الأمر، وعندما يراد الحكم بين معنيين أو بين شاعرين من غير أن يكون في الأمر ممارسة أو خصومة، فالأكثر في كلامهم - حينئذ - استعمال لفظ "التفاضل"، أو "المفاضلة"، ولكن منذ القرن الثالث استعمل لفظ "الموازنة" و"المفاضلة"، ويظهر أن لفظ الموازنة أدق من بقية الألفاظ من حيث دلالاته على ما يراد به؛ فهو يحمل معاني الدقة، والتقدير، والعدل، وكلها من معاني الوَزن والميزان. والموازنة التي يسعى النقاد إلى تحقيقها في دراساتهم هي الموازنة الفنية التي يفاضل فيها بين شعيرين أو شاعرين.<sup>344</sup>

#### 1 - عناية العرب بالموازنة:

وقد تجلت البذور الأولى للموازنة منذ العصر الجاهلي، وقد كان للشعراء أثر في نشأتها، ونهضتها؛ إذ بدأت باختلافهم حول أيهم أشعر كما حدث بين امرئ القيس وعلقمة وتحاكمهما إلى أم جندب<sup>345</sup> وغيرها من المواقف التي توضح وجود إرهاصات لقضية الموازنة في العصر الجاهلي، وإن كانت أحكامهم انطباعية تعتمد على الذوق الفطري غير معلل.

وقد كان للخلفاء والولاة في العصر الأموي دور في نشأة الموازنة ونهضتها وتطورها، إذ فسحوا لها المجال في مجالسهم الخاصة والعامة، وشاركوا فيها، إذ كانوا يسألون العلماء بالشعر، كما خاض في الموازونات علماء اللغة والرواة فإذا سئلوا أجابوا، وكل واحد منهم يحكم ذوقه. وخاض أيضا في الموازونات أهل الفقه والقضاء؛ إذ روي أن سعيد بن المسيب أحد التابعين وأحد فقهاء المدينة، ونوفل بن مساحق قاضي المدينة تجاريا في عمر بن أبي ربيعة وابن قيس الرقيات أيهما أشعر.<sup>346</sup>

ولعل من أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور الموازنة طبيعة البيان العربي فإنه يتأتى فيه التفاوت في البلاغة والفصاحة، والشعر بيان العربية الفذ والتفاوت فيه أوضح والتفاضل فيه أظهر، فكان له أثر في نشأة الموازنة الشعرية. كذلك الأسواق العربية أسهمت بشكل كبير في نشأتها، فهي لم تكن

<sup>343</sup> - ينظر، كمال الباقي لاشين، الموازونات الشعرية في النقد العربي القديم، ص 25.

<sup>344</sup> - ينظر، المرجع نفسه، ص 25-26.

<sup>345</sup> - ينظر، م ن، ص 29..

<sup>346</sup> - ينظر، م ن، ص 30-31.

مخصصة فقط للبيع، بل صارت أسواقاً أدبية ونقدية يجتمع فيه الشعراء أمثال: الفرزدق، جرير، الراعي للإنشاد، ولكل شاعر منهم حلقة، وهذه الحلقات لم تخل من نقد وموازنة. كذلك المجالس والأندية؛ إذ وردت بعض الروايات على أن أهل العلم بالشعر على اختلاف طبقاتهم كانوا يوازنون بين الشعراء ابتداءً في المجالس أو يسألون فيها عن الشعر فيجيبون، ومن ذلك ما روي من أن لبيد بن ربيعة مر بمجلس بني نهمد فأرسلوا في أثره يسألونه عن أشعر الناس ويراجعونه في ذلك، فقال: امرؤ القيس، ثم طرفة، ثم ذكر نفسه ثالثهم. وكانت مجالس الخلفاء أوضح المجالس أثراً في الموازنة لأنهم كانوا غاية كثير من الشعراء والعلماء بالشعر. وقد كثرت الموازنات في مجالس الخلفاء من بني أمية ثم من بني العباس، فعبد الملك بن مروان (86هـ) يُذَكر أهل بيته في أفضل ما قيل من الشعر. كذلك الخصومات الأدبية التي كان يغلب عليها طابع الخصومة الفنية؛ لأن الموازنات جرت بعد أن انقضى زمن هؤلاء الشعراء<sup>347</sup>. مثل: تخاصم العلماء حول شعر البحري وأبي تمام، والخصومة حول المتنبي.

## 2- مصادر الموازنات الشعرية: <sup>348</sup>

1.2-الصف الأول: كتب تغلب عليها الموازنات الشعرية أو تكاد. مثل: كتاب: المعيار والموازنة/ لمحمد الحسن الحاتمي (388هـ)، وكتاب تفضيل شعر امرئ القيس على الجاهلية/ للآمدي (370هـ). وغيرها كذلك تلحق كتب الطبقات بهذا الصنف؛ إذ بقي كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي الذي أقامه على أساس الموازنة الضمنية.

2.2- الصف الثاني: الكتب المشتملة على بعض الموازنات الشعرية ضمن ما اشتملت عليه من مباحث النقد والأدب وغيرهما. وهي نوعان:

\*- كتب رواية الموازنات وأعظمها كتاب الأغاني للأصفهاني (356هـ)

-كتاب الموشح للمرزباني (348هـ).

ففي كتاب الأغاني نجد ما يزيد على مائة موازنة مروية. أما الموشح فيه ما يزيد على ستين موازنة مروية.

\*- كتب إنشاء الموازنات وروايتها معا وهي أمهات كتب الأدب والنقد والبلاغة واهمها البيان والتبيين للجاحظ والشعر والشعراء، الصناعتين، الوساطة، إعجاز القرآن للباقلاني، دلائل الإعجاز، أسرار البلاغة، العمدة...

<sup>347</sup> - ينظر، كمال الباقي لاشين، الموازنات الشعرية في النقد العربي القديم، ص 33-34-35-36-37-38-39-40.

<sup>348</sup> - ينظر، المرجع نفسه، ص 55-56-57-58.

### 3- الموازنة في النقد العربي القديم:

تجلت الموازنة في شكل أحكام جزئية أو ضمنية، وهذا ما نجده في كتاب "طبقات فحول الشعراء" لابن سلام (232هـ)، إذ نجد آراء نقدية تقوم على الموازنة، وهذا ما تجلى على سبيل المثال لا الحصر في موازنته بين الكميت بن معروف الأوسط، والكميت بن زيد؛ إذ يقول: "الكميت بن معروف وهو شاعر... وكميت بن زيد الآخر شاعر. والكميت بن معروف الأوسط أشعرهم قريحة، والكميت بن زيد أكثرهم شعرا"<sup>349</sup> نعاين من النص أن الموازنة قائمة على أساس الجودة والكثرة. وتجلت الموازنة أيضا في حديثه عن الثالث الأموي؛ إذ يقول: وسألت بشارا العقيلي عن الثلاثة، فقال: لم يكن الأخطل مثلهما، ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه، فقلت: فجرير والفرزدق؟ قال: كان جرير يحسن ضروبا من الشعر لا يحسنها الفرزدق وفضل جريرا عليه"<sup>350</sup>. اعتمد ابن سلام في موازنته على النظم في أغراض مختلفة. وعليه يمكن القول إن "ابن سلام" أقام موازنته على: الجودة والكثرة، وتعدد الأغراض.

وقد اكتملت الموازنة على يد الأمدى (371هـ) إذ جعل لفظ الموازنة كعنوان لكتابه: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري، وقد اعتمد على الموازنة لإبراز محاسن ومساوئ الشعارين؛ إذ يقول: "وأنا ابتدئ بذكر مساوئ هذين الشعارين لأختم محاسنهما وأذكر طرفا من سرقات أبي تمام وإحالاته وغلطه وساقط شعره، ومساوئ البحثري في أخذ بعض معانيه، ثم أوازن من شعريهما بين قصيدة وقصيدة إذا اتفقت في الوزن والقافية، وإعراب القافية، ثم بين معنى ومعنى، فإن محاسنهما تظهر في تضاعيف ذلك وتنكشف"<sup>351</sup>. وقد طرح في كتابه: مذهب الشعارين، ومساوئهما في السرقات، وغلطهما في المعاني والألفاظ، وإساءة من أساء منهما في الطباق والجناس والاستعارة ورداءة النظم واضطراب الوزن، ثم انتقل إلى الموازنة؛ إذ عمد الأمدى إلى اختيار أشعار الشعارين في كل غرض، وفي كل غرض ذكر المعاني التي يتفق فيها الشعاران ووزان بينهما معنى معنى، وذكر أي الشاعر أشعر في معنى معين<sup>352</sup>. وعليه فالأمدى وزان بين عمليين متشابهين للشاعرين في المعنى وبين الجيد والرديء مع إيراد العلة وقد لا يورد العلة، لأن بعض الجودة والرداءة لا يعلل، ثم يصدر حكمه، ولكن دون إطلاق الحكم

<sup>349</sup> - ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، مج1، قرأه وشرحه محود محمد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ص 195

<sup>350</sup> - ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ج2، ص 374.

<sup>351</sup> - الأمدى، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري، ج1، ص 57.

<sup>352</sup> - ينظر، عيسى علي العاكوب، دار الفكر بدمشق، ط11، 2000م، ص 234.

النهائي العام؛ أي "أيهما أشعر على الإطلاق".<sup>353</sup> ولكن الأمدي لم يستطع إخفاء ميله إلى البحري؛ لأنه يرى أن شعره حقق كل صفات الشعر الجيد عند أئمة العلم بالشعر؛ إذ يقول: "وليس الشعر عند أهل العلم به إلا: حسن التأتي، وقرب المأخذ، واختيار الكلام، ووضع الألفاظ في مواضعها، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه، فإن الكلام لا يكتسي الهباء والرونق إلا إذا كان بهذا الوصف وتلك طريقة البحري"<sup>354</sup> نعين من النص ميل الأمدي إلى البحري فهو حسب رأيه التزم بأسس طريقة العرب في نظم الشعر.

وبعد الأمدي (371هـ) نجد كتاب "الوساطة بين المتنبي وخصومه" للقاضي الجرجاني (391هـ)، ولكنه يستخدم أحيانا لفظة المقايسة، وهذا ما تجلى -على سبيل المثال لا الحصر- في حديثه عن أبيات شعرية نظمها المتنبي في وصف الحمى؛ إذ يقول:

فإن أمرضُ فما مَرَضَ اصْطَبَارِي      وَإِنْ أُحَمِّمْ فَمَا حُمَّ اعْتِزَامِي  
وَإِنْ أَسْلَمَ فَمَا أَبْقَى وَلَكِنْ      سَلِمْتُ مِنَ الْجِمَامِ إِلَى الْجِمَامِ

وقد علق القاضي بقوله: "والأبيات التي وصف فيها الحمى أفراد قد اخترع أكثر معانيها، وسهل في ألفاظها، فجاءت مطبوعة.... وقد أحسن عبد الصمد بن المعذل في قصيدته الرائية التي وصف فيها الحمى... وكان أبا الطيب قصد تنكُّب معانيه فلم يلم بشيء منها: قال عبد الصمد:

وبنت المنية تنتابني      هَدُوا وَتَطْرُقُنِي سُحْرَه  
إذا وردت لم يدع وردها      عن القلب حجبٌ ولا سُتْرَه  
كأن لها ضرما في الحشا      وفي كل عضولها جمره

فأحسن وأجاد... وأنت إذا قِستِ أبيات أبي الطيب بها على قصرها وقابلت اللفظ باللفظ والمعنى بالمعنى... وكان لك حظٌ في النقد تبينت الفاضل من المفضل..."<sup>355</sup> نعين من هذا النص أن الناقد استخدم لفظة "قست". ففي نظره "أن الناقد الذي يتحرى الانصاف قبل أن يفرد عيوب شاعر أو حسناته بالتمييز، عليه أن يقيسه على ما كان في تاريخ الشعر والشعراء فلا يستهجن خطأه في اللفظ"<sup>356</sup> فهو كان يقيسه -المتنبي- بأشباهه ونظائره من الشعراء، فمثلا حاول أن يرد على قضية التعقيد في شعر المتنبي فقال: "ولو كان التعقيد وغموض

<sup>353</sup> - ينظر، رفعت التهامي، النقد الأدبي العربي القديم، ص 276.

<sup>354</sup> - الأمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري، ج 1، ص 423.

<sup>355</sup> - القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل وعلي البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط 1،

2006، ص 122.

<sup>356</sup> - حسين الحاج، النقد الأدبي في آثار أعلامه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1996، ص 269.

المعنى يسقطان شاعرا لوجب ألا يُرى لأبي تمام بيت واحد، فإننا لا نعلم له قصيدة تسلم من بيت أو بيتين قد وقّر من التعقيد حظهما وأُفسد به لفظهما ولذلك كثر الاختلاف في معانيه وصار استخراجها بابا منفردا ينتسب إليه طائفة من أهل الأدب وصارت تُتطرح في المجالس مطارحة أبيات المعاني وألغاز المعنى.<sup>357</sup> نعاين من النص أن الجرجاني يدعو إلى ضرورة العدل في إصدار الأحكام على شعر الشعراء.

وقد عمد "ابن رشيق" (456هـ) بدوره في كتاب العمدة إلى عقد الموازنة، وهذا ما تجلّى في باب "القدماء والمحدثين" وباب المشاهير من الشعراء؛ إذ ذكر قول عمر بن الخطاب في تفضيل امرئ القيس عن غيره من الشعراء؛ إذ يقول: "وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعباس بن عبد المطلب رحمه الله وقد سأله عن الشعراء: امرؤ القيس سابقهم: خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور أصح بصر"<sup>358</sup>.

كما وزان بين القديم والمحدث بقوله: "ولم يتقدم امرؤ القيس والنايعة والأعشى إلا بحلاوة الكلام وطلاوته مع البعد عن السخف والركاكة، على أنهم لو أغربوا لكان محمولاً عنهم؛ إذ هو طبع من طباعهم فالمولد المحدث-على هذا- إذا صح كان لصاحبه الفضل البين بحسن الاتباع ومعرفة الصواب مع أنه أرق حوكا وأحسن ديباجة"<sup>359</sup>. وذكر أيضا موقف عمر (رضي الله عنه) من شعر زهير بن أبي سلمي، وذلك ما رواه ابن عباس أنه قال: "قال لي عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: أنشدني لأشعر شعرائكم، قلت: ومن هو يا أمير المؤمنين؟، قال: زهير، قلت: ولم كان كذلك؟ قال: كان لا يُعازل بين الكلام، ولا يتتبع حوشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه"<sup>360</sup>. وغيرها من النصوص التي تعكس الموازنة في كتاب العمدة وبخاصة أن ابن رشيق قسم الشعراء إلى مطبوعين ومتكلفين، ووزان بين أصحاب البديهة والارتجال، وأنصار اللفظ والمعنى.

وقد كان حازم القرطاجني (684هـ) في كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" أقرب للواقع من أي ناقد آخر في فهمه لمبدأ المفاضلة.<sup>361</sup> فقد أدرك بعض الحقائق منها:<sup>362</sup>

<sup>357</sup> - القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص 417.

<sup>358</sup> - ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ج1، قدم له وشرحه صلاح الدين الهوارى وهدى عودة، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، دط، 2002، ص 165.

<sup>359</sup> - المصدر نفسه، ص 164

<sup>360</sup> - م ن، ص 172.

<sup>361</sup> - ينظر، إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 567.

<sup>362</sup> - ينظر، المرجع نفسه، ص 567.

-المفاضلة بين الشعراء أمر تقريبي ولا يجوز أن يؤخذ على سبيل القطع؛ إنما يتم الترجيح فيها على سبيل التقريب.

- الشعر يختلف بسبب اختلاف أنماطه وطرقه فشاعر يحسن في مواطن الجزالة، ويحسن في مواطن الرقة واللطافة، وشاعر آخر يحسن غرضاً شعرياً معيناً كالنسيب ولا يحسن القول في الأغراض الأخرى.

- يختلف الشعر حسب الأزمان، فهناك زمن تشيع فيه أوصاف الخمر والقيان، وزمن آخر يشيع فيه وصف الحرب والغارات....

- يختلف الشعر كذلك حسب الأمكنة مما يلهم بعض الشعراء أن يصفوا الوحش (البادية)، وآخرون يصفون الخمر (الحاضرة)...الخ.

وعليه فالمفاضلة بين الشعراء حسب "حازم" تبقى أمراً نسبياً وليس قطعياً والترجيح يكون فيها على سبيل التقريب فقط. وأخيراً يمكن القول إن النقاد القدماء أسهموا بأرائهم في تبيان طبيعة هذه القضية، وتبقى الموازنة من الآليات التي طبقها القدماء على الشعر والشعراء وذلك لمعرفة جوده من رديئه، وكذلك لخلق التنافس بين الشعراء، الذي يؤدي عادة إلى تحقيق الجودة والكمال في الخطاب الشعري.

#### -المصادر والمراجع المعتمدة:

- 1-إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت-لبنان، ط4، 1983.
- 2-الأمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري، ج1، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط4، دت.
- 3-حسين الحاج، النقد الأدبي في آثار أعلامه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1996.
- 4-رفعت التهامي، النقد الأدبي العربي القديم، دار النشر الدولي، الرياض، ط1، 2008.
- 5-ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، قدم له وشرحه صلاح الدين الهواري وهدى عودة، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، دط.
- 6-ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، مج1، قرأه وشرحه محود محمد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.

7- عيسى علي العاكوب، دار الفكر بدمشق، ط1، 2000م.

8- القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتني وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل وعلي البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط1، 2006-2009-كمال الباقي لاشين، الموازنات الشعرية في النقد العربي القديم، دار البصائر، مصر، ط1، 2007.

9- ابن منظور، لسان العرب، ج13، دار صادر بيروت، دط، دت.

## المحاضرة الثانية عشر: نظرية النظم

توطئة:

ورد في لسان العرب أن "النظم لغة: هو التأليف، نَظَمَهُ يُنْظِمُهُ نَظْمًا وَنِظَامًا وَنَظَمَهُ فَانْتَظَمَ وَتَنَظَّمَ، نَظَمْتُ اللَّوْلُوَ أَي جَمَعْتَهُ فِي السَّلْكِ، وَالتَّنْظِيمُ مِثْلُهُ. وَمِنْهُ: نَظَمْتُ الشَّعْرَ وَنَظَمْتَهُ ... وَالنِّظَامُ: الْخِيَطُ

الذي ينظم به اللؤلؤ...<sup>363</sup>. ونعائين من المعنى اللغوي أن النظم هو ضم الشيء إلى الشيء على مستوى واحد، بحيث يكون التآلف والتعالق.

وقد عرفه الجرجاني بقوله: «واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها»<sup>364</sup>، وبذلك قد أثبت عبد القاهر أن توخي معاني النحو وأحكامه، وهو متصل بالمعنى اتصالاً وثيقاً، فليست المزية فيه من حيث هو لفظ وحروف، ولكن من حيث هو نظم وتأليف، وفي معناه من حيث إن هذا النظم إنما هو نظم تابع للمعاني ومقتف أثرها ودال عليها، وأنه لولا معناه لم يكن شيئاً مذكوراً.<sup>365</sup> وعليه فعبد القاهر يقر أن المتكلم عندما يشرع في التعبير عن غرض من الأغراض يرتب المعاني الخاصة بهذا الغرض في نفسه أولاً ثم تختار هذه المعاني الألفاظ التي تدل عليه، فهذا هو النظم عنده، وترتيب المعاني في النفس هي موضوع علم النحو؛ إذ يحدد هذا الأخير مراتب المعاني الجزئية الخاصة بالغرض الذي يسعى المتكلم التعبير عنه، وبذلك فالنظم هو ترتيب الألفاظ المنطوقة الترتيب الذي يقتضيه علم النحو.<sup>366</sup>

## 1- فكرة النظم:

إن فكرة النظم كانت موجودة قبل عبد القاهر الجرجاني، إذ أسهمت قضية إعجاز القرآن في بلورة هذه الفكرة عند بعض النقاد، وبخاصة عند علماء الاعتزال فهم أول من بحث في إعجاز القرآن وبلاغته، إذ نجد النظام تحدث عن إعجاز القرآن، وذكر لفظة النظم؛ إذ يقول: «الأعجوبة في القرآن ما فيه من الأخبار عن الغيوب فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعمهم بمنع، وعجز أحدثهما فيهم».<sup>367</sup> والجاحظ أيضاً ألف كتاب بعنوان "نظم القرآن" وهو من كتبه التي ضاعت واحتج فيه لنظم القرآن، وتأليفه. كما ورد لفظ النظم عند ابن قتيبة (276هـ) في كتابه "تأويل مشكل القرآن"، وذكر أن القرآن معجز بتأليفه وعجيب نظمه؛ إذ يقول: «وقطع منه بمعجز التأليف أطماع الكائدين وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين وجعله متلوا لا يمل على

<sup>363</sup>- ابن منظور، لسان العرب، مج12، دار صادر، بيروت، دط، دت، ص 578 مادة(نظم)

<sup>364</sup>- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي مطبعة المدني، القاهرة، ص81.

<sup>365</sup>- رفعت الهامي عبد البر، النقد الأدبي العربي القديم، دار النشر الدولي، الرياض، ط1، 2008، ص 340.

<sup>366</sup>- عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب: مدخل إلى نظرية الأدب، دار الفكر، دمشق-سوريا، ط1، 2000، ص302.

<sup>367</sup> الأشعري (أبو الحسن)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ج1، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، دط، 1990م، ص 296.



طول التلاوة ومسموعا لا تمجه الأذان...»<sup>368</sup>. وكذلك في القرن الرابع الهجري نجد العديد من الدراسات التي قرنت النظم بإعجاز القرآن منها " إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه " (نظمه البديع وتأليفه العجيب) لمحمد بن يزيد الواسطي المعتزلي (306هـ)، ونجد أيضا أبا بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني (316هـ) الذي قلد الجاحظ في تسمية كتابه " نظم القرآن "، وأحمد بن سليمان البلخي (322هـ) الذي تكلم في القرآن الكريم بكلام لطيف ودقيق، وألف بعده "ابن الأخشيد أحمد بن علي المعتزلي" (326هـ) كتابا سماه " نظم القرآن ".<sup>369</sup>

لكن يبقى "الجاحظ" من أبرز النقاد الذين تأثر بهم "عبد القاهر الجرجاني" في صياغة نظرية النظم؛ إذ نقل من كتاب "النبوة" للجاحظ قوله: "ولو أن رجلا قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة قصيرة أو طويلة لتبين له في نظامها ومخرجها من لفظها وطابعها أنه عاجز عن مثلها ولو تحدى بها أبلغ العرب لأظهر عجزه عنها لغة ولفظا"<sup>370</sup>. نعاين من النص أن "الجاحظ" أراد بكلامه "النظم"، وبذلك هناك من يرى أن "عبد القاهر" استمد نظرية النظم في خطوطها العريضة من الجاحظ.<sup>371</sup> وكذلك ما نجده عند "عبد القاهر" قد تجلى من قبل عند القاضي عبد الجبار (415هـ) الذي فسر النظم بالفصاحة، فالألفاظ حسب تصوره لا تكون فصيحة بانفرادها، بل تأخذ الفصاحة من سياق النظم والتأليف. كما أشار إلى حركات النحو وما ترسم من فروق في العبارات، وأن المعاني لا يقع فيها التزايد، وإنما يقع في الألفاظ.<sup>372</sup> وعبد القاهر يقول: «...إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة؛ لأنك ترى الكلمة تروك في موضع وتنقل عليك في موضع آخر»<sup>373</sup>.

وأقر عبد الجبار أن الفصاحة في الكلام لا تتحقق إلا إذا نظم بطريقة مخصوصة؛ إذ يقول: "اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولا بد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع وليس لهذه الأقسام رابع؛ لأنه إما أن تعتبر فيه الكلمة أو حركاتها أو موقعها، ولا بد من هذا الاعتبار في كل كلمة، ثم لا بد من اعتبار مثله في

<sup>368</sup> - ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، 1954م، ص 3.

<sup>369</sup> - ينظر، حسين الحاج حسين: النقد الأدبي في آثار أعلامه، ص 289.

<sup>370</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 366.

<sup>371</sup> - ينظر، رفعت التهامي عبد البر، النقد الأدبي العربي القديم، ص 332.

<sup>372</sup> - ينظر، المرجع نفسه، ص 335.

<sup>373</sup> - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 38.

الكلمات إذا انضم بعضها إلى بعض لأنه قد يكون لها عند الانضمام صفة وكذلك لكيفية إعرابها وحركاتها وموقعها فعلى هذا الوجه الذي ذكرناه إنما تظهر الفصاحة بهذه الوجوه دون ما عداها"<sup>374</sup>.

وبالتالي الفصاحة لا ترجع إلى اللفظ وحده أو المعاني الخامة وحدها، بل ترجع إلى نظم الألفاظ وتأليفها في صورة تراعي حق المعنى في الكلام.<sup>375</sup> وعليه فالقاضي عبد الجبار نظر إلى الكلمة نظرتين مختلفتين، نظرة في حالة إفرادها، ونظرة في حالة نظمها مع غيرها، وهي في كلا الحالين واقعة تحت ثلاثة أحوال:<sup>376</sup>

1- مفهومها في ذاتها من حيث الوضع الذي لها عند أهلها والناطقين بها.

2- مفهومها حين تتداول عليها الحركات الإعرابية فتكون فاعلا، أو مفعولا، أو حالا، أو صفة..

3- مفهومها حين تأخذ مكانا خاصا في الكلام فتتقدم أو تتأخر.

وعليه فالقاضي كان سابقا وعبد القاهر موضحا ومبيننا حسب "عبد الفتاح لاشين" في كتابه "بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار"، ثم يضيف قائلا: "إن كلمة الضم عند عبد الجبار أليست هي النظم عند عبد القاهر؟ وليس مطلق الضم هو المقصود كما شوّهه عبد القاهر، وإنما المراد الضم على طريقة مخصوصة، وهذه الطريقة المخصوصة حددها عبد الجبار وجعلها من جهات ثلاث: وضع الكلمة في اللغة، ثم موقعها من الإعراب، ثم موقعها في الجملة، أليست هذه هي معاني النحو عند عبد القاهر"<sup>377</sup>. وعلى الرغم من وجود هذا التشابه إلا أن عبد القاهر يهمل إهمالا تاما ذكر اسم القاضي حسب عبد الفتاح لاشين.

وتأسيسا على ما تم ذكره يمكن القول إن فكرة النظم كانت موجودة قبل عبد القاهر الجرجاني، ولكن هذا الأخير جاء مبينا وموضحا وشارحا لهذه النظرية حتى أصبحت لصيقة باسمه؛ إذ وضع في كتابه دلائل الإعجاز القواعد الفنية للبلاغة والجمال، وقد تأثر بالفلسفة الإغريقية والمنطق، ولكن كان له ذوقه الأدبي العاصم، وبذلك قد قرر في كتابه نظريته المشهورة في النقد العربي القديم والموسومة بنظرية النظم.

<sup>374</sup> - عبد الفتاح لاشين، بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار، دار الفكر العربي، مطبعة دار القرآن ميدان الأزهر الشريف، دط، دت،

521.

375 - ينظر، وليد قصاب، التراث النقدي للمعتزلة، نشر وتوزيع دار الثقافة، قطر، الدوحة، دط، دت، ص 188.

<sup>376</sup> - عبد الفتاح لاشين، بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار، ص 523.

<sup>377</sup> - المرجع نفسه، ص 523.

## 2-النظم عند القاهر الجرجاني:

وقد عرف عبد القاهر الجرجاني النظم بقوله: «واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها»<sup>378</sup>، وبذلك فالنظم الذي يعنيه عبد القاهر هو توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم، فاللفظة ليس لها أي مزية أو فضل، ولا يحكم عليها إلا بدخولها في سياق معين؛ أي ربط الألفاظ في سياق معين يكون وليد الفكر، لهذا كانت المعاني لا الألفاظ هي المقصودة في إحداث النظم والتأليف، فلا نظم في الكلم، ولا تأليف حتى يعلق بعضها ببعض ويبني بعضها على بعض، وبهذا يكون اللفظ تابعا للمعنى بحسب ما يقصد منه، ويراد له<sup>379</sup> وبذلك قد « أثبت أن النظم هو توخي معاني النحو وأحكامه، وهو متصل بالمعنى اتصالا وثيقا، فليست المزية فيه من حيث هو لفظ وحروف، ولكن من حيث هو نظم وتأليف، وفي معناه من حيث إن هذا النظم إنما هو نظم تابع للمعاني ومقتف أثرها ودال عليها، وأنه لولا معناه لم يكن شيئا مذكورا »<sup>380</sup>. وقصده أن النظم يقوم على النحو فهو لا يقصد به الإعراب، إنما المعاني النحوية.

كما هاجم النقاد الذين فصلوا بين اللفظ والمعنى، فالانحياز إلى اللفظ حسب تصوره هو قتل للفكر، أما على مستوى البلاغة فإنه لا يمكن أن تكون الفصاحة في اللفظة المفردة، إنما هي في العملية الفكرية التي تصنع تركيبا فصيحاً من الألفاظ، وهذا يعني أن الألفاظ المفردة لا تدخل في الفصاحة والإعجاز، وإلا كانت معجزة بأوضاعها اللغوية وما فيها من أصوات وحركات، وسكنات، ولو صح ذلك لما كان للقرآن فضل على غيره من الكلام، ولبيطل إعجازه<sup>381</sup>.

وبموجب ما سبق نصل إلى أن «ترتيب المعاني في الذهن هو الذي يقتضي ترتيب الألفاظ في العبارة وأن اللفظ لا مزية له في ذاته وإنما مزيته في تناسق معناه مع معنى اللفظ الذي يجاوره في النظم - أي تنسيق الكلمات والمعاني بحيث يبدي النظم جمال الألفاظ والمعاني مجتمعة- وأن الجمال الفني رهين بحسن النسق أو حسن النظم. كما أنه لا اللفظ منفردا موضع حكم أدبي ولا المعنى قبل أن يعبر عنه في لفظ، وإنما هما باجتماعهما في نظم يكونان موضع استحسان أو استهجان»<sup>382</sup> وقد أنكر على ابن

<sup>378</sup> - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاکر، مكتبة الخانجي مطبعة المدني، القاهرة، ص 81.

<sup>379</sup> - ينظر: ينظر، حسين الحاج حسين: النقد الأدبي في آثار أعلامه، ص 292.

<sup>380</sup> - رفعت التهامي عبد البر: النقد الأدبي العربي القديم، ص 340.

<sup>381</sup> - ينظر، المرجع نفسه، ص 341.

<sup>382</sup> - سيد قطب: النقد الأدبي وأصوله ومناهجه، دار الشروق، بيروت، دط، دت، ص 124.

قتيبة؛ تقسيمه للشعر: منه ما حسن لفظه، لفظه ومعناه، وما حسن لفظه دون معناه، وما حسن لفظه دون معناه.<sup>383</sup>

وعمل على تفسير قول الجاحظ: "المعاني مطروحة في الطريق" حيث وضح أن المعاني مادة أولية كالذهب والفضة والمزية في دقة الصنعة وجودتها، ولهذا قال الجاحظ: «وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وصحة الطبع وكثرة الماء وجودة السبك، إنما الشعر صناعة وضرب من التصوير»<sup>384</sup>. إذ يرى أن الجاحظ أورد هذه المقولة خوفاً على فكرة الإعجاز، فلو أن الفضل يعود إلى المادة الأولية التي سميت "المعنى" بطل أن يكون "للنظم" فضل تتفاوت به المنازل. وما يسعى الجاحظ إلى تبيانه هو الرؤية الفكرية التي تؤسس "وحدة كاملة" من اللفظ والمعنى تأسيساً متفاوتاً في القدرة على التأثير، وقد حاول الجرجاني أن يقدم شرحاً مستفيضاً حول الصورة المجتمعة من اللفظ والمعنى، وأقر بمبدأ التفاوت، فالشاعر إذا جاء بمعنى معين على طريق التساهل والتجوز لا يمكن لشاعر آخر أن يأتي بالمعنى عينه، إلا إذا كان ذلك تكراراً تاماً لعبارة الشاعر الأول. وفي هذا نفسه ما يدل على ميزة النظم؛ لأنها تحقق ذلك التفاوت.<sup>385</sup> وبذلك قد أنكر ثنائية اللفظ والمعنى، وفضل الوحدة، والمعنى عنده يعني "الدلالة" الكلية المستمدة من الوحدة لا من المواد الأولية أو الحقائق الخارجية.

كما طرح أيضاً فكرة معنى المعنى، "فقولك خرج زيد"، قول تصل منه إلى المقصود بدلالة اللفظ وحده ولكن حين تقول: هو كثير رماد القدر، أو رأيت أسداً، وأنت تريد رجلاً شجاعاً، أو: بلغني أنك تقدم رجلاً، وتؤخر أخرى فإنك في مثل هذه الأقوال تطرح أولاً دلالة أولية تنتقل منها بعد ذلك إلى دلالة ثانية تصل بها إلى غرض جديد.<sup>386</sup> وهذا ما سماه ب: معنى المعنى، ونعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر<sup>387</sup>.

أما مرحلة "معنى المعنى" فهي تمثل المستوى الفني من الكناية والاستعارة والتشبيه، وفي هذه المرحلة يكون التفاوت أيضاً في الصورة أو الصياغة؛ لأنه تفاوت في الدلالة المعنوية أيضاً. مثلما يحدث تفاوت في الدلالة في المرحلة الأولى بين قولك: قام زيد، زيد قام، قائم زيد... الخ، فمن مرحلة المعنى

<sup>383</sup> - ينظر، إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 423.

384 - الجاحظ: الحيوان، ج3، تحقيق يحيى الشامي، دار ومكتبة الهلال، بيروت- لبنان، دط، ص 408.

385 - ينظر، إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 424-425.

<sup>386</sup> - إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 428-429.

<sup>387</sup> - إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 429.

يتكون " علم المعاني " ومن مرحلة " معنى المعنى " يجئ علم البيان، ولهذا فإن عبد القاهر تحدث في كتابه دلائل الإعجاز عن المعنى، أما كتابه " أسرار البلاغة خصصه لدراسة " معنى المعنى " الذي يقوم على مستويات متفاوتة في الدلالة والتأثير معاً.<sup>388</sup>

وأخيراً يمكن القول إن عبد القاهر الجرجاني استطاع إرساء قواعد نظرية النظم؛ إذ شرحها وبينها بشكل مفصل مستفيداً من ثقافته الأجنبية وذوقه الأدبي العربي، وهذا ما مكنه من وضع أهم نظرية نقدية في تاريخ النقد العربي القديم.

#### -المصادر والمراجع المعتمدة:

1-الأشعري (أبو الحسن)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ج1، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، دط، 1990م.

2-حسين الحاج حسين: النقد الأدبي في آثار أعلامه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1 1996.

3-الجاحظ: الحيوان، ج3، تحقيق يحيى الشامي، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، دط، دت.

4-رفعت التهامي عبد البر، النقد الأدبي العربي القديم: تطوره وقضاياها، دار النشر الدولي، الرياض، ط1، 2008م.

5-سيد قطب: النقد الأدبي وأصوله ومناهجه، دار الشروق، بيروت، دط، دت.

6-عبد الفتاح لاشين، بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار، دار الفكر العربي، مطبعة دار القرآن ميدان الأزهر الشريف، دط، دت.

7-عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي مطبعة المدني، القاهرة.

8-عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب: مدخل إلى نظرية الأدب، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط1، 2000.

9-ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، 1954م.

10-ابن منظور، لسان العرب، مج12، دار صادر، بيروت، دط، دت، مادة (نظم)

11-وليد قصاب، التراث النقدي للمعتزلة، نشر وتوزيع دار الثقافة، قطر، الدوحة، دط، دت

388 - ينظر، المرجع نفسه، ص 429.

المحاضرة الثالثة عشر: النقد البلاغي

أجمع القدماء على أن النقد هو تمييز الجيد من الرديء<sup>389</sup>، فجوهه يقوم أولاً "على الكشف عن جوانب النضج الفني في النتاج الأدبي وتمييزها مما سواها عن طريق الشرح والتعليل ثم يأتي بعد ذلك الحكم العام"<sup>390</sup>. والبلاغة هي "معرفة أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال، ومعرفة إيراد المعنى بطرق مختلفة في الدلالة عليه، ومعرفة وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة"<sup>391</sup>، وعليه فمهمة النقد هي تفسير العمل الأدبي وتحديد مواطن الجودة فيه وتقريبه للمتلقي، أما البلاغة فمهمتها إيضاح الأساليب والطرق والوسائل والاستعمالات التي تحسن الكلام، فيتعلمها المبدع ليكتب كلاماً أفضل، وبذلك هناك اختلاف من حيث الوظيفة والموضوع<sup>392</sup>. ويمكن أن نحدد الفرق بين البلاغة والنقد كما يأتي:<sup>393</sup>

- تغلب في البلاغة الناحية الفنية، إذ تسعى إلى تكوين المبدع لينظم قطعاً أدبية راقية.
  - النقد يوضح النظريات التي تقدر بها القطع الأدبية.
  - تعنى البلاغة بالشكل وصور الكلام، وتعلم المبدع كيفية صياغة المعاني الكامنة في حافظته وكيفية إظهارها في قالب بليغ.
  - يتجاوز النقد حدود الشكل ويبحث في كوامن القطعة ليكشف العواطف ومقدار الخيال.
- ولكن يرى الباحثون أن النقد القديم في بداياته كان نقداً بلاغياً، والبلاغة كانت بلاغة نقدية؛ إذ كان هناك ارتباط قوي بينهما، وقد ذكر مصطفى محمود طه أن "النقد الأدبي أبو البلاغة العربية، في حجره نشأت وفي رحابه درجت فهي تنسب إليه، وتنبثق عنه، ولهذا توثقت الصلة بينهما، فالنقد نظرات فاحصة في الأدب، تبين من خلالها محاسنه ومساوئه وتتكشف بها وجوه كماله ونقصه ومواطن جماله وقبحه، وأسباب ما أصاب من رفعة أو ضعة، وهذه النظرات في استمرارها وفيما تكشف عنه وجهت أولئك الناظرين إلى دراسة الأساليب البيانية في هذا الأدب، ومهدت لتبين الأسباب

<sup>389</sup> - قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، دط، ص 12.

<sup>390</sup> - غنيمي، هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، دار العودة، بيروت، 1973، ص 11.

<sup>391</sup> - أحمد مطلوب، النقد البلاغي، ص 195. [https://ia601004.us.archive.org/27/items/lis\\_ak08/lis\\_ak0806.pdf](https://ia601004.us.archive.org/27/items/lis_ak08/lis_ak0806.pdf) تاريخ النشر

09:01:00/2019/07/17م، تاريخ الاطلاع: 2021/11/20.

<sup>392</sup> - ينظر، رفعت التهامي عبد البر، دار النشر الدولي، الرياض، ط1، 2008، ص 13.

<sup>393</sup> - حسين الحاج حسين، النقد الأدبي في آثار أعلامه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1996، ص 8.

التي يتحقق بالتزامها جمال الكلام، وهذه الأسباب هي التي تحولت إلى تلك القواعد والأسس والأصول للبلاغة العربية<sup>394</sup>.

وعليه قد توثقت الصلة بين النقد والبلاغة في القرون الأولى، وكانت الروح الأدبية غالبية، ولهذا كانت دراسة البلاغة تتم في ظل النقد الأدبي<sup>395</sup>، وبذلك تداخلت الدراسات البلاغية والنقدية بشكل كبير وواضح، وربما ذلك يعود إلى "أن النقد لم يظهر عند ظهوره علما مستقلا بنفسه، ولم تظهر البلاغة عند ظهورها علما مستقلا بنفسه، وربما لم يظهر غيرهما مستقلا بنفسه أيضا، وذلك يعود إلى طبيعة التأليف في العلوم في المرحلة الأولى، التي تم فيها تثبيت المعالم الأولية لكل علم"<sup>396</sup>. وهذا ما تميزت به جميع العلوم في العصور القديمة؛ إذ لا نجد مؤلفات متخصصة.

ويقول "أحمد مطلوب" أن هناك من يرى أن البلاغة تركز على الناحية الفنية؛ لأن قواعدها تقود إلى الإبداع، وبذلك فهي تهتم أكثر بالأسلوب، أما النقد فيأتي دوره بعد الإبداع، ويعرض هذا الأخير على مقاييسه، ليحكم له أو عليه، فهو يهتم بالمعاني والأساليب لذا كانت دائرته أوسع ميدانا، ولكن هذا غير صحيح حسب رأيه؛ لأن البلاغة وإن كانت ترشد المبدع؛ فإنها تشمل أيضا المعاني والأساليب، وبذلك فهي آلية من آليات النقد؛ أي تسهم في الحكم وتوجه الناقد مثلما توجه المبدع، وهذا يعني أن الناقد القديم يتخذ البلاغة كآلية للوصول إلى الحكم الصحيح، ويتجلى ذلك بشكل واضح فيما طرحه القدماء مما يدخل في إطار النقد نحو: قضية اللفظ والمعنى، الاتباع والابداع، الموازنة والتحليل، كلها اتخذت من قواعد البلاغة أصولا أفضت بها إلى ميدان النقد.<sup>397</sup> وهذا يعكس العلاقة الوطيدة بين النقد والبلاغة في القديم؛ وأي فصل يعدّ افتعالا بعيدا عن المتعارف عليه في تلك الحقبة، وهذا ما بينه "حسين الأسود" بقوله: "والحديث عن الأصول التي تجمع البلاغة بالنقد القديم إنما هو حديث عن الحبل السري الدقيق الذي يصل البلاغة بالنقد. أما سبب وجود هذا الحبل وعلته فهو الطاقة الجمالية التي تفرزها البلاغة العربية، ثم اعتمادها أسباب هذه الطاقة في الأحكام النقدية، فالبلاغة عناصر جمالية والنقد بوجه عام أحكام تستند إلى هذه العناصر"<sup>398</sup>.

<sup>394</sup> - مصطفى عبد الرحمن إبراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب، مكة للطباعة، دط، 1998، ص 158.

<sup>395</sup> - عمر عروة، دروس في النقد الأدبي القديم: أشكاله وصوره ومناهجه، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2010، ص 27.

<sup>396</sup> - محمد كريم الكواز، النقد والبلاغة: المصطلح والنشأة والتجديد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت-لبنان، ط1، 2006، ص 200.

<sup>397</sup> - أحمد مطلوب، النقد البلاغي، ص 196.

<sup>398</sup> - حسين الأسود، أصول العلاقة بين البلاغة والنقد القديم حتى نهاية القرن 4هـ، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، مج 18، ج 1،

2007، ص 115.



وبذلك لا يمكن الفصل بين النقد والبلاغة؛ وأي فصل يعد في حقيقة الأمر فصلا مفتعلا لا يقره واقع النقد العربي ولا خصائص اللغة العربية، وهذا ما أدركه النقاد القدماء؛ إذ اهتموا بالأسلوب واتخذوه مقياسا في نقدهم، وهذا ما أكده عبد القاهر الجرجاني في مصنفه "دلائل الاعجاز" و"أسرار البلاغة"، وأقام عليه نظرية النظم التي تعد من أهم النظريات التي توصل إليها النقد العربي القديم.<sup>399</sup>

ويعد كتاب "البديع" لابن المعتز (296هـ) من الكتب التي جمعت بين النقد والبلاغة، كما أنه كان إيذانا بالدرس البلاغي النقدي المتمثل في مصنف "نقد الشعر لقدماء"، الذي اتخذ من قواعد البلاغة وسيلة لإصدار الأحكام، وبعد ذلك ظهرت كتب جعلت البلاغة أساسا في نقدها، حتى وإن وسمت بأسماء نقدية<sup>400</sup>، إذ تحدث الباقلاني (403هـ) عن فنون البديع واتخذها مقياسا في نقده، وتبعه كثير من النقاد منهم ابن أبي الأصبع المصري (654هـ) فقد خصص أحد كتبه البلاغية والنقدية لبديع القرآن، وظهر كناقذ بلاغي في كتابه "تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن"، ونجد أيضا الأمدي (370هـ) في الموازنة، والقاضي الجرجاني في كتابه "الوساطة" قد اعتمدا على فنون البلاغة كأدوات نقدية عند طرحهما لقضية عمود الشعر والموازنة والمقايسة، والسرقات<sup>401</sup>.

ومن النقاد الذين تجلى عندهم النقد البلاغي بشكل واضح: الجاحظ، ابن المعتز، ابن طباطبا، وقدامه بن جعفر (337هـ)، والرماني (384هـ)، وأبو هلال العسكري (395هـ)، وابن رشيق (456هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (471هـ)، وابن الأثير (630هـ).<sup>402</sup> وكذلك الحاتمي (388هـ) في كتابه "حلية المحاضرة في صناعة الشعر"، وكتاب "المنصف" لابن وكيع التنسي (393هـ)، و"البديع في نقد الشعر" لأسامة بن منقذ (584هـ)، وكتاب "نصرة الاغريض في نصرة القريض" للمظفر العلوي (656هـ)، وكتاب "حسن التوسل إلى صناعة التوسل" لشهاب الدين الحلبي (725هـ) فكل هذه المصنفات تجلى فيها المنزع البلاغي، وبذلك كان نقدا بلاغيا.

### \* نماذج من النقد البلاغي:

<sup>399</sup> - ينظر، أحمد مطلوب، النقد البلاغي، ص 196-197.

<sup>400</sup> - المرجع نفسه، 198.

<sup>401</sup> - ينظر، م ن، ص 198-199.

<sup>402</sup> - ينظر، عمر عروة، دروس في النقد الأدبي القديم: أشكاله وصوره ومناهجه، ص 29-30.

-من بين المقاييس البلاغية التي اعتمد عليها النقاد في إصدار أحكامهم، المعاطلة؛ إذ حرص البلاغيون على "عدم تركيب الكلام بعضه فوق بعض على نحو يستثقل نطقه، ويمج سمعه"<sup>403</sup>، وأول من وظف هذا المعيار في نظراته النقدية هو عمر بن الخطاب، وتجلّى ذلك من خلال موقفه من شعر زهير بن أبي سلمى؛ إذ يقول: "...كان لا يعاظر بين الكلام، ولا يتبع حوشيه..."<sup>404</sup>. نعاين من هذا النص أن عمر بن الخطاب اعتمد على مقياس بلاغي في إصدار حكمه النقدي.

- اتخذ النقاد "الاستعارة" كمعيار نقدي في أحكامهم النقدية، وبخاصة أن لها "موقع من البلاغة خطير، وموضع من الإبانة كبير؛ لأنها إذا وُفيت حقها ووضعت بحيث يليق بها أكسب اللفظ جوهرية تنقله عما كان عليه لو استعمل على ما وضع في اللغة زادته وضوحا يصوغ أريجيه ويسيع أجيجه"<sup>405</sup>. وبذلك فهي من حلى الشعر، إذا وقعت موقعها الصحيح؛ لذا عدها النقاد مقوما من مقومات بناء الشعر، فهي تعكس انتقال اللغة ذات اللغة المطابقة إلى اللغة الإيحائية، وهذا الانتقال يتحقق بفضل التحول على مستوى اللغة.<sup>406</sup> وقد اتخذها العديد من النقاد كمعيار في نقدهم للشعر، فهذا ما نجده على سبيل المثال لا الحصر عند السجلماسي في كتابه "المنزع البديع"؛ إذ عاب استعارة المتنبي في قوله:<sup>407</sup>

إِلَّا يَشْبُ فَلَقَدْ شَابَتْ لَهُ كَيْدُ شَيْبَا إِذَا خَصَبَتْهُ سَلْوَةٌ نَصَلَا

وقوله:<sup>408</sup>

مَسْرَّةٌ فِي قُلُوبِ الطَّيِّبِ مَفْرُقُهَا وَحَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ البَيْضِ وَالْيَلْبِ

<sup>403</sup> - حسين الأسود، أصول العلاقة بين البلاغة والنقد القديم، 123.

<sup>404</sup> - ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده، ج2، قدم له وشرحه صلاح الدين الهواري، وهدي عودة، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، دط، 2002، ص 172.

<sup>405</sup> - علي بن خلف الكاتب، مواد البيان، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، ط1، 2003، ص 124.

<sup>406</sup> - بديعة الخرازي، مفهوم الشعر عند نقاد المغرب والأندلس في القرنين السابع والثامن الهجريين، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 2005م، 328.

407 - المتنبي(أبو الطيب)، الديوان: بشرح أبي البقاء العكبري: المسمى بالتبيان في شرح الديوان، ج3، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا وآخرون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 2010، 164.

<sup>408</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص 90.

وقد أقر السلجماسي أن هذه الاستعارة رثة ومسترخمة غثة، وإنما تحسن الاستعارة على وجه من وجوه المناسبة وطرف من أطراف المقاربة.<sup>409</sup> فالشاعر حول الكبد والطيب واليبلب والبيض إلى كائنات، وبذلك أخذت بعدا وظيفيا جديدا هو البعد الإنساني، وهو إلى حد بعيد نفي للاستعارة عند الناقد القديم.<sup>410</sup> كما اتخذ ابن رشيق هذا النمط البلاغي كمقياس نقدي في كتابه تحت عنوان: "معيب الاستعارة"، كما اتخذ الأمدي في موازنته وخصص بابا بعنوان: ما في شعر أبي تمام من قبيح الاستعارة. وغيرها من الأنماط البلاغية التي اتخذها النقاد كمعايير نقدية في دراساتهم النقدية نحو: الكناية، الجناس، الترصيع وغيرها.

وأخيرا يمكن القول إن النقد القديم مرتبط بالبلاغة ارتباطا وثيقا؛ إذ اتخذ النقد الأنماط البلاغية كمقاييس نقدية للحكم على الخطاب الأدبي، وهذا ما تجلى عند النقاد القدماء: كعبد القاهر الجرجاني، والباقلاني، والأمدي، وغيرهم، وبذلك لا يمكن للنقد أن يتجرد من البلاغة.

#### - المصادر والمراجع المعتمدة:

1 - أحمد مطلوب، النقد البلاغي.

[https://ia601004.us.archive.org/27/items/lis\\_ak08/lis\\_ak0806.pdf](https://ia601004.us.archive.org/27/items/lis_ak08/lis_ak0806.pdf) تاريخ النشر

09:01:00 7/17/2019 م، تاريخ الاطلاع: 2021/11/20.

2- بديعة الخرازي، مفهوم الشعر عند نقاد المغرب والأندلس في القرنين السابع والثامن الهجريين، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 2005.

3- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده، ج2، قدم له وشرحه صلاح الدين الهوارى، وهدى عودة، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، دط، 2002.

4- حسين الحاج حسين، النقد الأدبي في آثار أعلامه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1996.

5- حسين الأسود، أصول العلاقة بين البلاغة والنقد القديم حتى نهاية القرن4هـ، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، مج18، ج1، 2007.

6- رفعت التهامي عبد البر، دار النشر الدولي، الرياض، ط1، 2008.

<sup>409</sup> - بديعة الخرازي، مفهوم الشعر عند نقاد المغرب والأندلس في القرنين السابع والثامن الهجريين، ص 331.

<sup>410</sup> - المرجع نفسه، ص 331.

- 7- علي بن خلف الكاتب، مواد البيان، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، ط1، 2003.
- 8- عمر عروة، دروس في النقد الأدبي القديم: أشكاله وصوره ومناهجه، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2010.
- 9- غنيمي، هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، دار العودة، بيروت، 1973.
- 10- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، دط، دت.
- 11- المتنبي (أبو الطيب)، الديوان: بشرح أبي البقاء العكبري: المسمى بالتبيان في شرح الديوان، ج3، ضبطه وصححه ووضع فهرسه مصطفى السقا وآخرون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، دط، 2010.
- 12- محمد كريم الكواز، النقد والبلاغة: المصطلح والنشأة والتجديد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت-لبنان، ط1، 2006.
- 13- مصطفى عبد الرحمن إبراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب، مكة للطباعة، دط، 1998.

المحاضرة الرابعة عشر: تراجم أعلام المشرق: الجرجاني....

1- عبد القاهر الجرجاني(471هـ):

كان عبد القاهر الجرجاني شافعيًا، عالمًا، أشعريًا، ذا نسك، ودين<sup>411</sup>. ولد في جرجان ونشأ بها، وأخذ النحو عن أبي الحسين محمد بن الحسين الفارسي ابن أخت أبي علي الفارسي الذي نزل جرجان واستقر بها فأخذ عنه أهلها فضلًا كثيرًا، وكان عبد القاهر أحد تلامذته الذين تأثروا به ودرسوا عليه كتاب (الإيضاح) لأبي علي الفارسي<sup>412</sup> وقال ابن قاضي شهبة: كان شافعي المذهب متكلمًا على طريقة الأشعري، وفيه دين وله فضيلة تامة في النحو وصنف كتبًا كثيرة أشهرها كتاب الجمل وشرحه<sup>413</sup>.

#### \*ثقافته:

هو فقيه متكلم من أئمة النحو والأدب والبيان، تميز بالذوق ورهافة الحس وأصالة الملكة، وقد اطلع على كثير من الكتب ونقل عن كثير ممن اشتهروا باللغة والنحو والبلاغة والأدب كسيبويه والجاحظ وأب علي الفارسي والمبرد وابن قتيبة والعسكري والآمدي والقاضي الجرجاني وقدامة وقرأ كتاب الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني ورجع إلى كتاب الشعراء للمرزباني ونقل عن الزجاج وذلك يدلنا على أن الرجل تثقف ثقافة نحوية أدبية إلى جانب ثقافته الدينية<sup>414</sup>، ويعد بالفعل علامة بارزة في تاريخ البلاغة العربية ونقطة تحول ونضج وازدهار في دراستها، وذلك بفضل مقامته لتيار الصياغات اللفظية التي كادت تطفئ على الأدب والنقد بفضل ما أسسه ونظرياته.<sup>415</sup>

\*آثاره: ذكر السبكي في: طبقات الشافعية الكبرى من مؤلفاته ما يأتي:<sup>416</sup>

- كتاب المغني على شرح الإيضاح في نحو ثلاثين مجلدا.

- كتاب المقتصد في شرح الإيضاح في ثلاث مجلدات.

- كتاب إعجاز القرآن الصغير

<sup>411</sup> - ابن عثمان الذهبي، (شمس الدين محمد بن محمد)، سير أعلام النبلاء ج18، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1984، ص 333

<sup>412</sup> - ينظر، أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، وكالة المطبوعات الكويتية، ط1، 1983، ص14.

<sup>413</sup> - ينظر، ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج5، تحقيق الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط1، 1989، ص 308-309.

<sup>414</sup> ينظر، علاء نور الدين، عبد القاهر الجرجاني في قراءات البلاغيين المحدثين، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص 33-34.

<sup>415</sup> - ينظر، رفعت التهامي عبد البر، دار النشر الدولي، الرياض، ط1، 2008، ص331.

<sup>416</sup> - عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2000، ص293.

- العوامل المئة.
- المفتاح
- كتاب الجمل.
- كتاب دلائل الإعجاز
- كتاب أسرار البلاغة.
- 2- قدامة بن جعفر (338هـ):

هو أبو الفرج، قدامة بن جعفر بن زياد الكاتب البغدادي كان نصرانيا فأسلم على يد الخليفة العباسي المكتفي بالله.<sup>417</sup>

نشأ في بغداد، وقد وفرت له تلك النشأة البراعة في عدد من المعارف التي عرفت في عصره كاللغة والأدب والفقه، والكلام والحساب، والفلسفة. تلى الكتابة في مجلس الوزير علي بن محمد بن موسى بن الفرات، كما تولى رئاسة الكتاب والكتابة للبهيميين الذين دخلوا بغداد سنة 334هـ.<sup>418</sup>

ويعد من أشهر النقاد العرب الذين أثروا حركة النقد الأدبي القديم، ويعد كتابه "نقد الشعر" أصلاً لكل الدراسات النقدية، إذ كان لأرائه صدى كبير عند النقاد القدماء؛ إذ ألف الأمدي كتاباً في تبين غلط قدامة في كتابه نقد الشعر. وألف عبد اللطيف البغدادي كتاباً في شرح نقد الشعر لقدامة وكتاب بعنوان: كشف الظلامات عن قدامة، كما ألف ابن رشيق كتاب بعنوان: تزييف نقد قدامة.<sup>419</sup>

مؤلفاته:

- كتاب نقد الشعر.
- كتاب صابون الفم.
- كتاب جلاء الحزن.
- كتاب السياسة.
- كتاب الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبير تمام.

<sup>417</sup> - عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، ص 201.

<sup>418</sup> - المرجع نفسه، ص 201-202.

<sup>419</sup> - قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المعمر خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، دط، ص 5.

- كتاب صناعة الجدل
- كتاب نزهة القلوب.
- كتاب زهر الربيع في الأخبار.
- جواهر الألفاظ.

### 3- ابن طباطبا (322هـ):

هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم<sup>420</sup>. وطباطبا لقب جده إبراهيم؛ لأنه كان ينطق القاف طاء؛ طلب يوما من غلامه أن يأتيه بثيابه: فقال الغلام: أجيء بدراعة؟ فقال لا بل طباطبا يريد قباقا فلقب بهذا اللقب واشتهر به.<sup>421</sup>

ولد ابن طباطبا في أصبهان وعاش فيها ومات فيها سنة 322هـ، وقال عنه ياقوت الحموي: "كان مذكورا بالفطنة وصفاء القريحة، وصحة الدهن وجودة المقاصد؛ معروف بذلك مشهور به"<sup>422</sup>.

مؤلفاته:<sup>423</sup>

- كتاب تهذيب الطبع.
- كتاب في المدخل في معرفة المعنى من الشعر.
- كتاب العروض.
- كتاب سنام المعالي.
- كتاب تقريظ الدفاتر.
- كتاب عيار الشعر

### قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، وكالة المطبوعات الكويتية، ط1، 1983.
- 2- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط، دت.

<sup>420</sup> - الزركلي، الأعلام، ج 5، دار العلم للملايين، ط15، 2002، ص 308

<sup>421</sup> - ينظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط، دت، ص130

<sup>422</sup> - ياقوت الحموي، معجم الأدياء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993، ص 2310.

<sup>423</sup> - عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، ص 180

- 3- رفعت التهامي عبد البر، دار النشر الدلي، الرياض، ط1، 2008.
- 4- الزركلي، الأعلام، ج 5، دار العلم للملايين، ط15، 2002.
- 5- ابن عثمان الذهبي، (شمس الدين محمد بن محمد)، سير أعلام النبلاء ج18، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1984.
- 6- علاء نور الدين، عبد القاهر الجرجاني في قراءات البلاغيين المحدثين، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- 7- ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج5، تحقيق الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط1، 1989.
- 8 - عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2000.
- 9- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، دط، دت.
- 10- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط، دت.
- 11- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993.

خاتمة:



لقد أظهر التحليل -في المحاضرات المقررة- طبيعة النقد الأدبي القديم منذ نشأته الانطباعية وعبر تطوراته العديدة، كما تتبع الكيفية التي تم بها بناء التصورات النقدية اتجاه بعض القضايا النقدية المعروفة عند النقاد في عصرهم، الذين استطاعوا أن يرقوا بتفكيرهم إلى مستوى إدراك كنه هذه القضايا، وأهميتها في الميدان الإبداعي، واستطاعوا أيضا أن يطوروا آفاق التفكير النقدي عندهم ويعمقوه، وذلك بفضل الوعي بجملة الخصائص والسمات التي يتميز بها العمل الإبداعي، وبخاصة الشعر.

كما يتضح من خلال مقاييسهم أن البعد النقدي عندهم ظل يجول في السياق السائد في عصرهم، وبخاصة الرؤية البيانية التي اتكأ عليها النقاد في إصدار أحكامهم، وهذا ما عكس ارتباط النقد والبلاغة ارتباط وثيقا.

الفهرس:

## الفهرس:

- مقدمة:.....2-1.
- المحاضرة الأولى: النقد مفهومه وتطوره وجغرافيته في المشرق والمغرب .....3-19.
- المحاضرة الثانية: بيبليوغرافيا المصادر النقدية في المشرق والمغرب والأندلس.....20-25.
- المحاضر الثالثة: النقد الانطباعي مفهومه ومجالاته.....26-33.
- المحاضرة الرابعة: مفهوم الشعر عند نقاد المشرق والمغرب الأندلس.....34-43.
- المحاضرة الخامسة: قضية الانتحال وتأصيل الشعر.....44-49.
- المحاضرة السادسة: قضية الفحولة.....50-56.
- المحاضرة السابعة: قضية عمود الشعر:.....57-63.
- المحاضرة الثامنة: قضية اللفظ والمعنى عند ابن طباطبا، وقدامة، وابن قتيبة.....64-70.
- المحاضرة التاسعة: قضية اللفظ والمعنى عند نقاد المغرب والأندلس.....71-77.
- المحاضرة العاشرة: قضية الصدق.....78-86.
- المحاضرة الحادية عشر: الموازنات النقدية.....87-94.
- المحاضر الثانية عشر: نظرية النظم.....95-100.
- المحاضرة الثالثة عشر: النقد البلاغي.....101-107.
- المحاضرة الرابعة عشر: تراجم أعلام المشرق.....108-111.
- خاتمة:.....112.
- الفهرس.....113.